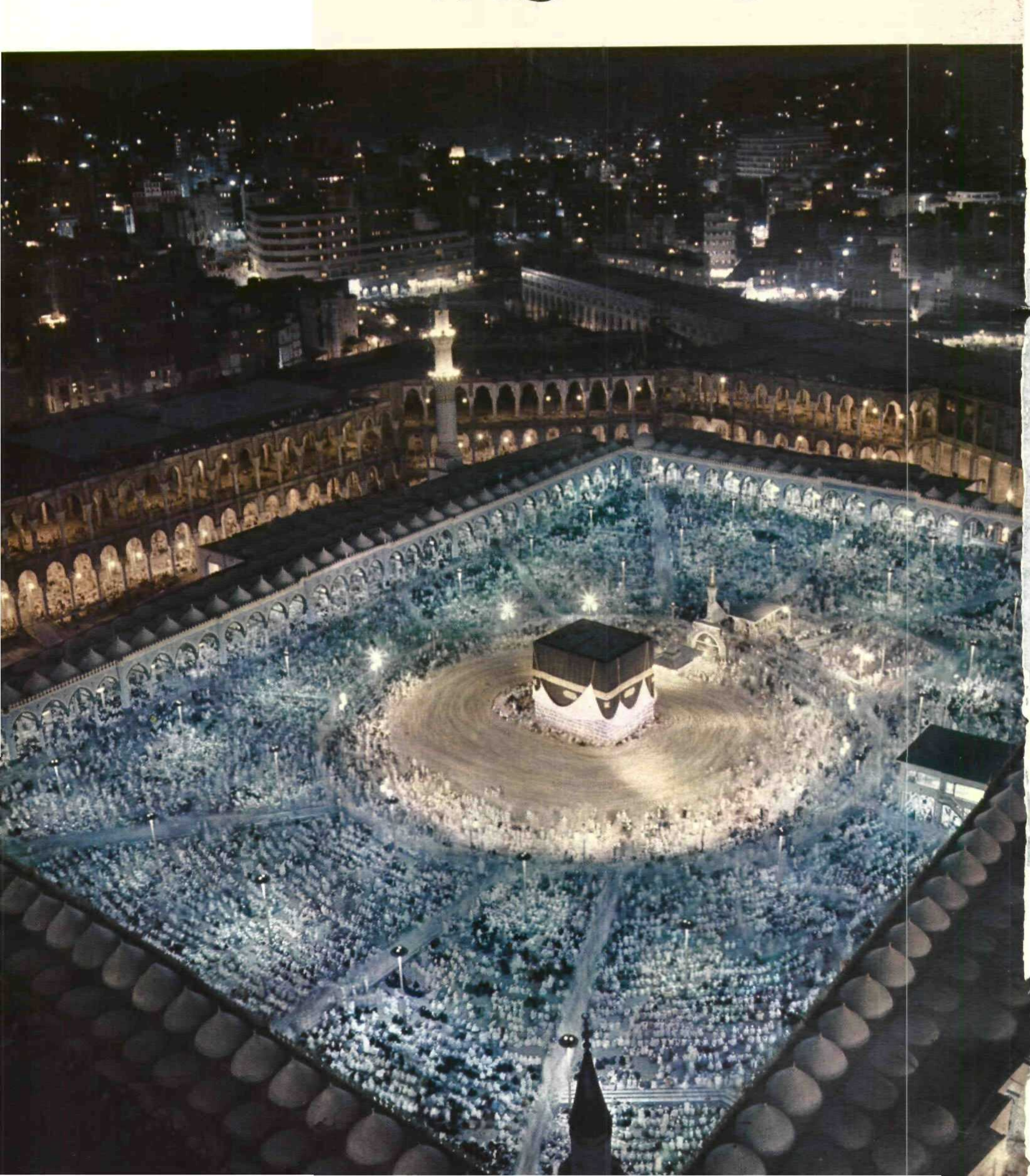
قافلة الزيت

ذو الحجة ١٣٨٧
فبراير - مارس ١٩٦٨



بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

رقم الصفحة

صورة الغلاف

الحجيج يطوفون بالبيت العتيق .

تصوير : شيخ امين



تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

بسم الله الرحمن الرحيم

«وأذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتين من كلّ فجٍّ عميقٍ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيامٍ معلومات».

صدق الله العظيم

تهنئة العيد

تنتهز أسرة تحرير قافلة الزيت يوم الحج الأكبر وحلول عيد الأضحى المبارك ، فتتقدم الى جلالة العاهل العربي الكبير الملك فيصل المعظم ، والى الشعب العربي الكريم ، والى حجيج بيت الله الحرام ، والى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أخلص التهاني وأزكى الأمنيات ، ضارعة الى المولى عز وجل أن يعيد عليهم أمثاله وهم يرفلون في حلل من العز والنصر والسؤدد .

وكـل عـام وأنـتم بخـير

قافلة الزيت

العدد الثاني عشر — المجلد الخامس عشر

تصدر شهرياً عن: شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجاناً

مديرها ورئيس تحريرها سيف الدين عاشور

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ ، الظهران ، المملكة العربية السعودية

وللحج حكمة

بقلم الاستاذ عثمان حافظ

شريعة

هذا الدين الاسلامي الحكيم هي أن يكون للمسلمين جامعة تجمعهم من حين الى آخر ، تربط بين شعوبهم ، وتصفي بين قلوبهم ، وتوحد بين أهدافهم ، وتوحد بينهم رابطة اسلامية كبرى ، ليكونوا أمة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وقد نظم الدين الاسلامي هذه الاجتماعات تنظيما دقيقا في فترات متقاربة ومتباعدة لما لها من شأن عظيم في ترابط المسلمين وشد أزرهم وتآخيهم ، ليشعروا أنهم عصبة واحدة وكيان واحد ، وان تباعدت بينهم الديار وشطت بهم الأقطار ، وليشعروا انهم جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له بقية الأعضاء بالسهر والحمى ، وليعرفوا أن في اجتماعهم وترابطهم ، قوتهم وسؤددهم ومنعتهم وعزهم .

نظم الاسلام هذه الاجتماعات في الصلاة التي هي عماد الدين ، والتي هي الركن الثاني بعد الشهادتين . فالصلاة تجمع أهل الحي خمس مرات في اليوم في صلاة الجماعة ، وتجمع أهل المدن مرة في الأسبوع في صلاة الجمعة ، وتجمع أهل المدن والقرى مرتين في السنة في صلاة العيدين .

ان هذه الاجتماعات المتتالية المتواصلة التي لا تنقطع طوال أيام السنة تقرب ولا شك ، بين وجهات نظر المسلمين وتهيىء لهم الفرصة للتباحث في شؤونهم وعلاج مشاكلهم ، ولجعلهم في وضع قوي متماسك ، كما تشعرهم ، في الوقت نفسه ، بأنهم ليسوا وحدهم عندما يلم خطب أو ملمة ببعض أفرادهم أو جماعاتهم . بل تقف من ورائهم الكتل الاسلامية المتراصة تدافع عن حقوقهم وتحميهم من كيد الكائدين وعدوان المعتدين .

أما الاجتماع الأكبر ، الذي يجمع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وتباعد ديارهم ، فهو « يوم عرفة » يوم الحج . هذا اليوم العظيم الذي دعى اليه الباري جل وعلا ، المسلمين من أقطار الدنيا كافة الى الاجتماع :

« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله . »

يأتي المسلمون من كل فج وصوب استجابة لدعوة الواحد الأحد ، ليجتمعوا في هذا اليوم العظيم ، وقد وحد الاسلام بين فقيرهم وغنيهم ، وحاكمهم ومحكومهم ، وقويهم وضعيفهم ، وأسودهم وأبيضهم سواسية كأسنان المشط لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى ، كما وحد بينهم في زيهم وفي اداء مناسكهم وفي تجردهم من كل ما يشعر بتفوق أحد على آخر ، وجعل منهم وحدة متكاملة متكاتفة متراصة ، والكل يطلب وجه الله الأحد الصمد ، منيبين الى ربهم يبتغون فضله ورضوانه .

واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا .

وفي هذه الغمرة من هذا الاجتماع الأكبر في رحاب البيت العتيق ، في رحاب الله المتعال ، في هذه الغمرة من صفاء النفوس والانابة الى الله تعالى ، والتقرب اليه بالطاعة والتجرد من زخرف الدنيا وبهرجها ، ومفاتنها وزينتها .. في هذا اليوم العظيم ، أمر الله تعالى هذه الجموع المسلمة المؤمنة الموحدة التي جاءت تريد وجهه وتبتغي مرضاته ، أمرهم أن يشهدوا منافع لهم ، وقدّم تعالى في الآية الكريمة شهود منافع المسلمين على ذكر الله ، فقال جل من قائل « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله » .

فكان شهود منافع المسلمين في هذا الاجتماع الكبير من أولى حكم الحج البالغة ، ومن أولى ما دعى الله سبحانه وتعالى المسلمين اليه وحثهم عليه

ومنافع المسلمين هي أكثر من أن يصفها قلم عابر ، ولكن أهمها وأجدرها بالعناية والاهتمام ، دراسة أحوال المسلمين في مختلف أقطارهم ودیارهم ، وتفقد شئونهم ورعاية مصالحهم ، والعمل على ازالة الحيف والضيم عمن لحقه حيف أو ضيم من المسلمين ، والسعي لاسعادهم ورفع شأنهم بين الشعوب والأمم ، وتوطيد دعائم هذا الدين الحنيف الذي به عزهم وقوتهم .

ولا يتم هذا الا بتضامن المسلمين ، واتحاد قواهم ، وصفاء قلوبهم ، والاخلاص لهذه المبادىء السامية ، مبادىء الدين الاسلامي القويم ، الذي أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ليكون منارا للناس وهدى يهتدون بنوره ، ويسيرون على تعاليمه ، ويقتفون آثاره .

وما أحرانا أن نجعل من هذا الاجتماع العظيم في كل عام ، مؤتمرا اسلاميا جامعا يستعرض فيه المسلمون ذوو النفوذ شئون بلادهم ، ومصالح شعوبهم ، ويوجهون مجتمعهم الاسلامي الكبير الى طرق الخير والرشاد والعمل المثمر لصالح شعوبهم ومساندتهم في محنهم وملماتهم ..

والجدير بالملاحظة ان معظم المسلمين الذين يقصدون الحج في كل عام ، لم يستفيدوا من هذا الاجتماع العظيم الفائدة التي تعود عليهم بالنفع الجزيل والخير العميم . بل ان أغلب المسلمين الذين يؤدون مناسك الحج ، ينظرون اليه وكأنهم عبارة عن أقوال وأفعال يؤدونها في أوقات معلومة وفي أماكن معلومة .

وتتفاعل مع نفسي وأنا أتحدث عن هذا الموضوع كلمة أتذكرها في كل مناسبة كنت سمعتها من السيد «شكري القوتلي» — رحمه الله — قبل واحد وثلاثين عاما ، كان قد ألقاها في الحفل التكريمي الذي أقامه له أدباء المدينة في « نادي المحاضرات » بمناسبة زيارته للمدينة المنورة واني أقتطف منها الفقرة التالية :

« انكم تأتون من بلادكم النائية ، من مصر والشام والمغرب والهند والعراق وما وراء البحار ، ومن جميع أقطار الدنيا لأداء فريضة الحج ، وان الله تعالى فرض عليكم الحج لتوحدوه ، وتنيبوا اليه ، ولتشهدوا منافع لكم ، وتتعارفوا وتتفاهموا في شؤونكم الاسلامية ، وترسموا الخطط التي ينبغي أن تسيروا عليها أمام خصومكم وأعدائكم ، والتي من شأنها أن ترفع من شأنكم ، وتوطد دعائم دينكم ومجدكم وعزكم الخالد ، فاذا ما جاء العام المقبل في مثل هذا اليوم ، تجتمعون ثانية وتقدمون حسابكم عما نفذتموه في العام الماضي وترون ما نفذ وما أهمل فتتداركون ما فات ، وهكذا في كل سنة .. »

غير أن تباشير تفتح الوعي الاسلامي قد بدأت تلوح في الأفق ، وأخذ المسلمون يشعرون بضرورة استفادتهم من هذا الاجتماع الكبير ، ويحسون بحاجتهم الى اجتماع الكلمة ، وتوحيد الصف ، وتثبيت مكانتهم تحت الشمس بعد أن أصبحوا يشكلون دولا اسلامية كبرى ذات سيادة ونفوذ ، وذات قوة وسلطان ، وذات ثقافة اسلامية عالية .

لقد بدأ المسلمون يفكرون في الاستفادة من هذا المؤتمر الديني الاسلامي الكبير الذي يعقد كل عام في أقدس بلاد المسلمين . وما هذا الاجتماع الاسلامي الكبير الذي تعقده رابطة العالم الاسلامي بجوار البيت الحرام ، ويحضره كبار الشخصيات الاسلامية بالاضافة الى الدعوة الى تضامن اسلامي شامل يجمع كلمة المسلمين ويوحد صفوفهم ما هي الا أثر من آثار هذا الوعي الاسلامي المتفتح .

واعتقد أن الأوان قد آن لأن يستفيد المسلمون بعد محنتهم ، كما آن لهم أن يستفيدوا من هذه الاجتماعات العظيمة في يوم الحج الأكبر ، ويجعلوا منها مؤتمرا اسلاميا عاما لبحث مشاكلهم وتوحيد قواهم وجهودهم ، متعاونين متساندين .



الحجيج يرمون الجمرات في منى .



حجاج بيت الله الحرام يوم وقوفهم بعرفات .

عناوين الكتب

بقلم الاستاذ انور الجندي

بين الغرابة والغموض

بين أصعب ما يواجه المؤلف والقارىء على السواء « عنوان الكتاب » . أما المؤلف فهو يريد أن يعطي القارىء خلاصة ذكية في كلمات قليلة في العنوان تغري القارىء بشراء الكتاب أو قراءته . وفي سبيل هذا يتردد الكاتب بين عدد من العناوين ، يقارن بينها ، ويحاول أن يختار أفضلها مرجحا عنوانا على عنوان ، لعامل أو لآخر . وقد واجهت مشكلة اختيار العناوين كثيرا من الباحثين بالحيرة ، وأشار بعضهم الى ذلك في مقدمات كتبهم . ولعل أهم العوامل التي أثارت حيرة الباحثين والمؤلفين في اختيار العناوين ، تعدد الأبحاث والموضوعات التي يجمعها كتاب واحد ، فقد برزت منذ أوائل هذا القرن « ظاهرة » جديدة هي ظاهرة المؤلفات المجمّعة من المقالات الصحفية المنوعة والمتعددة ، ولعل « مصطفى لطفي المنفلوطي » هو من أوائل من فعلوا ذلك حين جمع مقالاته تحت عنوان (النظرات) ، وهي المقالات التي كان ينشرها في المؤيد كل أسبوع ، حول موضوعات منوعة في الأدب والاجتماع والأخلاق والسياسة ، ومن هنا كان من الصعوبة بمكان اختيار « عنوان » يعطي مفهوم « الكتاب » . فكان لا بد من اختيار كلمات مرنة ، يسيرة فكانت كلمة (النظرات) لمقالاته و (العبرات) لقصصه .

وقد اتسع نطاق هذا الاتجاه في الأدب العربي المعاصر ، فيما بعد وذلك حين جاء العقاد فأخذ يجمع مقالاته المنوعة التي كان ينشرها في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية تحت عناوين لها طابع عام غامض على هذا النحو : (ساعات بين الكتب) ، (مطالعات) ، (مراجعات) ، ثـم توالت مؤلفات عديدة في هـذا الصدد لأعلام الأدب .

« فالمازني » يجمع مقالاته تحت عنوان : (فيض الريح) ، (صندوق الدنيا) ، (حصاد الهشيم) ، و « هيكل » يجمع مقالاته تحت عنوان : (أوقات الفراغ) ، و « لطفي السيد » يجمع مقالاته تحت عنوان (صفحات مطوية) و (المنتخبات) .

و « الزيات » يجمع مقالاته تحت عنوان : (وحي الرسالة) ، و « الرافعي » يجمع مقالاته تحت عنوان (وحي القلم) ، وأحمد أمين يجمع مقالاته تحت عنوان (فيض الخاطر) وتصدر منها عشرة أجزاء ، و « محمد كامل حسين » تحت عنوان (منوعات) ، و « طه حسين » تحت عنوان (ألوان) وهلم جرّا .

ومن هنا نشأت مشكلة عناوين المقالات المجمّعة لأن هذه العناوين مبهمة غامضة لا تستطيع أن تعطي للباحث أي مضمون حول فحوى الكتاب والموضوعات التي يضمها ، وهي بين أدب وفن واجتماع ، بحيث يستطيع الباحث أن يلجأ الى هذا الكتاب أو ذاك حين يحتاج الى دراسة موضوع بعينه . فقد حوت هذه المؤلفات عشرات الأبحاث في الأدب والسياسة ، والاجتماع ، والفن ، والاقتصاد ، والقانون ، والعلوم ، وفي تراجم الاعلام ، وهي بهذه العناوين الغامضة لا يمكن أن ترشد الباحث الى اتجاه واضح نحو أي من هذه الدراسات ، ما لم يكن يعرف من الذاكرة أن الكاتب قد تناول مثلا في كتبه ترجمة لفلان او دراسة عن موضوع معين . واذا كان هذا هو الموقف بالنسبة لكبار الكتاب ، فان الموقف بالنسبة لمن هم أقل درجة منهم يحتاج الى نظرة شاملة .

وفي مراجعة شاملة لأكثر من ٥٠ ألف بطاقة في سبيل البحث عن المصادر النافعة التي يمكن العثور عليها ، مما يوجد تحت عناوين غامضة أو عامة تحول دون الانتفاع بها ، وجدنا أن عوائق كثيرة تحجب عددا كبيرا من المؤلفات عن حاجة الباحث الراغب في الاستيعاب والاستيفاء ، لأن أمثال هذه الكتب لا تقرأ من عناوناتها ولا يستخلص مبناها من مضمون ألفاظها .

والواقع أن الغاية الأساسية من « العنوان » هي سرعة ارشاد القارىء الى ما يحتاج اليه في فنه أو موضوعه . وكلما كان العنوان واضحا سهلا ، كان ذلك خيرا . وهذه الغاية لم تتحقق ولم يضعها أغلب المؤلفين موضع تقديرهم مما أدى الى ظهور مجموعة من العناوين الغريبة والعناوين الغامضة . وقد فرض هذا حرص المؤلفين على « السجع » نتيجة لعصر التقليد المنتهي ، أو للفت القارىء بصورة أكثر اغراء الى مضمون الكتاب نفسه .

ومن تجربتي الخاصة ، أجد أنني قد أذهب الى صناديق البطاقات لأبحث مادة ما ، فأجد كتابا أو كتابين ، في حين أجد عشرات الكتب في هذه الموضوعات تحت عناوين أخرى لا يقع عليها القارىء أو الباحث الا اذا وجد من يدله عليها . وانني أنتهز هذه الفرصة فأنصح القارىء الباحث في موضوع ما ، بأن يبحث تحت هذه العناوين الجديدة التي ابتكرها الكتاب ظنا منهم أنها مستحدثة أو طريفة ، بينما هي قد أبعدت القارىء عن مجال البحث الحقيقي .

وتحت عنوان : (أضواء على ، أضواء جديدة ، أضواء حول) تجد عشرات المؤلفات على هذا النحو : (أضواء على) علم النفس ، علم الهيئة السياسية ، أصول الفقه ، أصول الفلسفة ، أصول القانون (أضواء على تاريخ ...) ، (أضواء على) :

آسيا ، الأرض ، التصوف ، تربية الطفل (أضواء جديدة على) : الحروب الصليبية ، الفكر الاقتصادي ، (أضواء حول) افريقية .. الخ .

ومثل هذا تجده تحت عنوان (تقرير عن) ، (بحوث في) ، (الجديد في) ، (دراسات في) ، (دروس في) ، (صورة من) ، (لمحات عن) ، (مذكرات عن) ، (المدخل الى) ، (المرجع في) ، (المرشد الى) ، (مقدمة في) ، (موجز) ، (نبذة عن) ، (تحية من) ، (هذه هي) .

فتحت هذه الكلمات تجد عددا من الكتب في مختلف موضوعات الأدب والعلم والاجتماع والسياسة والقانون .

وفي مجال التراجم ودراسات الأعلام ، لا تجد في الكتب التي تحمل أسماء « الأعلام » أنفسهم الا عددا قليلا . بينما العدد الأكبر تجده تحت هذه العناوين التي قد لا يلتفت اليها الكثيرون وهي : (أبطال) ، (أساطير) ، (أشهر مشاهير) ، (أعلام) ، (الامام) ، (تراجم) ، (ترجمة) ، (ذكرى) ، (سيرة) ، (شخصيات) ، (شهداء) ، (صفحات من) ، (صفحات خالدة) ، (صفحات مطوية) ، (من تاريخ) ، (من حياة) ، (عباقرة العلم) ، (عبقرية) ، (عصاميون) ، (عظماء في) ، (فضائل الخلفاء) ، (الصحابة) ، (مراثي) ، (قادة العلم أو الفكر) ، (قاهر) ، (قصة كفاح) ، (مناقب) ، وهلم جرّا .

وتحت هذه العناوين المختلفة تجد عددا ضخما من التراجم لمختلف الأعلام ولا يستطيع الباحث أو القارىء أن يصل اليها حين يقصر بحثه على اسم علم معين من الأعلام .

غرائب العناوين

ولا تقتصر قضية أسماء الكتب وعناوينها على التأليف في العصر الحديث بل انها تتصل كذلك بالتأليف القديم وخاصة في المرحلة السابقة للنهضة . فقد أولى الكتّاب اهتماما كبيرا بالكتابة والتأليف في الموضوعات الغريبة والطريفة . وفي نظرة سريعة الى غرائب المؤلفات في المكتبة العربية يبدو أن هنالك عالما ضخما من التأليف منوعا غاية التنويع . ولما كان الاحتفال بالسجع في عناوين الكتب في هذه الفترة مما كان ، يقصد لذاته ولا يجد الكاتب منه مهربا ، فقد بلغ الأمر في بعض الأحيان حد الغرابة ، وان كانت الغرابة تحمل دائما طابع الطرافة . ثم ان الطرافة والغرابة لم تقتصرا على عناوين الكتب ، وانما شملتا موضوعاتها أيضا ، فقد ألّف المؤلفون في فنون غريبة وطريفة حقا ، وأوسعوا لأنفسهم المجال ، دون أن يتقيدوا بأي قيد . وقد اتصلت هذه الأبحاث والموضوعات بكل أمور الحياة والانسان في طلاقة كاملة وفي غير مواربة ، فقد ألفوا مئات من الكتب في الطرائف والملح والفكاهات والنوادر ، ومثال ذلك : (طرائف الأدب ، الطرائف الأدبية ، طرائف التسلية ، طرائف العبر ، طرائف عن القضاة ، طرائف في عالم الحيوان ، الطرائف واللطائف في المحاسن والأضداد ، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، التحية الذكية في النوادر الفكاهية ، نديم الخلفاء ، فكاهة الفكر) .

وقد ألف الكتّاب في الفترة السابقة لعصر النهضة — فيما عدا كتب العلم والتاريخ — في علوم الفراسة وتعبير الرؤيا ، وفي الفن والغناء ، وفي أسماء الخيل ، وفي عادات الحيوان ، وفي الزهور والفاكهة .

وتتسم كل مؤلفات هذه الفترة بالسجع الذي كان طبيعة العصر .

ومن هذه العناوين : « الاسفار عن فوائد الاسفار » ، « رجوم وغساق الى فارس الشدياق » ، « الفاشوش في حكم قراقوش » ، وهلم جرّا .

وهناك كلمات معيّنة تظل موضع اعجاب الكتّاب عصورا بعد عصور يبدؤون مؤلفاتهم بها ، ومثال ذلك : كلمة (عيون) التي ألف الكتّاب تحتها عشرات من المؤلفات من بينها : « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، و « عيون الأبناء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصبعة ، و « عيون الأثر في فنون المغازي والسير » لأبي الفتوح بن سيد الناس ، و « عيون المسائل » للفارابي ، و « عيون الأدب والسياسة » لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن ، و « عيون الحكمة » لابن سينا ، و « عيون الحقائق الناظرة الى تتمة الحدائق الناضرة » لحسني محمد بن أحمد الدراري النجفي ، و « عيون المسائل المهمات » لمحي الدين النووي ، و «عيون المسائل في أعيان المسائل » لعبد القادر الطبري ، و « العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ » لمحمد عثمان جلال . وفي العصر الحديث ألف تحت هذا العنوان الشيخ البشير الابراهيمي كتابه (عيون البصائر) .

وعني الكتّاب أيضا بكلمة (نزهة) فألفوا تحتها عديدا من الكتب مثل : « نزهة الأنام في التشريح العام » لمصطفى حسني كساب ، و « نزهة الأنام في محاسن الشام » لتقي الدين البدري ، و « نزهة الأحداق في مباحث السباق » لابراهيم منيب البغدادي ، و « نزهة الأذهان في صلاح الأبدان » لداود ابن عمر الانطاكي ، و « نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار » لعبد الرحمن بن درهم ، و « نزهة الأبصار في خطط مصر والقاهرة وما فيها من الآثار » للدكتور حسني وفائي ، و « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » للأنباري ، و « نزهة العمر بين البيض والسمر » لجلال الدين السيوطي .

وفي المساجلات والمعارك الفكرية تبرز في العناوين كلمة : (فصل الخطاب) ، وقد ألف الكثيرون تحت هذا العنوان أبحاثا منوعة مثل : « فصل الخطاب في تأييد صورة الجواب » لأحمد ابن العاقب الانصاري ، و « فصل الخطاب فيما نزلت به عناية الكريم الوهاب » لمحمد المهدي بن علي بدر الدين ، و « فصل الخطاب في مدارس الحواس الخمس لأولي الألباب» (لم يعرف مؤلفه) .

وقد استعمل الكتاب في العصر الحديث هذا العنوان ، حين ألف العلامة ناصيف اليازجي كتابه المعروف « فصل الخطاب في أصول لغة الأعراب » وألف طلعت حرب كتابه الموسوم « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » .

وفي مجال المساجلات والمراجعات ، كانت كلمة « الأجوبة » من الكلمات التي ألف الكتاب تحتها عددا لا يحصى من المؤلفات مثل : « الأجوبة الجلية » ، و « الأجوبة الراقية » ، و « الأجوبة الذكية » ، و « الأجوبة السديدة » ، و « الأجوبة الفاخرة » ، و « الأجوبة الفاصلة » ، و « الأجوبة المرضية » ، و « الأجوبة المسكتة » .

وجملة القول أن عناوين المؤلفات والكتب قد وقعت في القديم والحديث تحت سيطرة عاملين مهمين هما : العناوين الغامضة والمبهمة للمؤلفات التي تضم مجموعات من المقالات المنوعة ، والعناوين المسجوعة التي يراد بها لفت النظر واستثارة القارىء بالعبارة البارعة . ونتيجة لذلك فقد كثير من هذه المؤلفات القدرة على امداد الباحثين بما هم في حاجة اليه . وربما كانت العناوين المسجوعة القديمة أكثر هديا للباحث من العناوين المجملة الحديثة ، ونحن في هذا العصر السريع الذي لا يعطي الفرصة للمراجعات الطويلة ، أحوج ما نكون الى عناوين واضحة الدلالة على مضامين الكتب دون الالتجاء الى الغموض أو التعميم .



مشاهد من تاريخ مكة (٣)

للاستاذ احمد السباعي

لقد كانوا أصحاب جاهلية ، ليس في هذا ريب . حكمتهم أساطير توارثوها ، وأنت تعرف مفعول الوراثة وتعرف أثره في توجيه طاقة العقل ، ولا تجهل قدرته على الغاء ملكة النقد .

قل لي بربك : ألا تعايش اليوم أمما أضلتها الأساطير عن سبيل الله ، وحكمتها الوراثة بما لا مناص لها منه ؟

لندع هذا لسنة الله في الحياة ، وتعال نتابع قصصهم في حياتهم العقلية في القيافة ، والعيافة ، والفراســة .

أي ذكاء هذا الذي كان يميز وصف الدابة من آثار خطوها ، كما يميز سن الفتاة من حركتها في المشي ، ولا يعجزه أن يلحق الرجل بنسبه عند أول نظرة يدققها في سيماه . وهو الى هذا يتتبع آثار الضال والهارب ، كما يتتبع آثار السارق ، حتى يقف على مخبئه ومخبأ جريمته ، ويستدل من كلام الشخص وهيئته على اخلاقه . وهو فن يدرس اليوم في الجامعات وربما قصر عن الشأو الذي بلغوه قبل ألفي سنة ، ولا يتطاول اليه أستاذ في علم النفس أو أو في فلسفة الحياة الا فيما ندر . وهم يكتشفون مواطن المياه ويعرفون مظانها ، واستطاعوا بذلك أن يستنبطوا الماء من مئات الآبار التي حفروها في مكة ، وفي البوادي المحيطة بها .

أي ذكاء هداهم الى النجوم : مواقعها ، وطوالها ، وحركاتها ، ومنازلها في البروج ؟ وأي ذكاء هيأ لهم فهم الأنواء والأمطار وأنواع السحاب ، ممطرا وغير ممطر ، وعلمهم اتجاه الممطر بالنسبة الى جبالهم ووديانهم ، كما علمهم أنواع الرياح ، واتجاه سيرها في كل وجه ؟

لا .. لم يقف ذكاؤهم عند هذا ، ولا انتهت كفاءتهم اليه ، فقد برعوا في البحر كما برعوا في البر . كانت مراكبهم تتهادى في البحار تمخر عبابها الى السودان والحبشة ، وكانت تضرب في الشمال الى موانىء مصر ، وتتوغل في الجنوب الى أطراف الهند .

تفوقوا في البحار حتى أتقنوا فنونها ، وبذوا كثيرا من جيرانهم فيها . وربطوا أوقاتهم بحركات النجوم ، واهتدوا في سيرهم بمطالعها . وكان لهم في (الشعيبية) ، وأكبر ظني أنك لا تجهل الشعيبية ، فهي ميناء يقع اليوم جنوبي جدة .. كان لهم في هذا الميناء دار صناعة لانشاء السفن واصلاحها ، وكان ملاحو الجنوب

يؤمون ميناءهم لاصلاح ما استعصى صلاحه في موانئهم . وكانوا ينتدبون فتيانا لهم الى هذا الميناء ليتفقهوا في صناعة السفن ، ويتعلموا من فنون الملاحة ما يقصر باعهم عنها .

ولعلك تدري بعد هذا أن دور الصناعة شاعت بعدهم ، وظلت متوارثة ، حتى استفاد منها المسلمون في عصرهم الذهبي ، وانها انتقلت منهم الى كثير من الأمم المتحضرة ، فهي اليوم عندهم (ترسانة) تحريفا لـ (دار الصناعة) اسمها الأصيل في عاصمة قريش .

والآن ألا تتبعني أمضي بك الى محترفي الطب في بطون قريش ، لتعرف أي مدى بلغوه في طبائع الجسم وأمراضه وسائر علله .

نحن الآن على فوهة شعب بني عامر ، نستطيع أن نسلك درب بني بكر الملتوي لنصافح دارة الطبيب . أترى هذه العرصة المزدحمة بالمرضى ؟ انهم ينتظرون خروج الطبيب اليهم . استمع معي الى قصصهم . انهم يثنون على مهارته ونجاحه في تخفيف آلامهم . أترى هذا القصي في الزاوية النائية ؟ انه لا يخالط المرضى امتثالا لأمر الطبيب ، فقد أصابه الجذام ، ولكن أعشاب الطبيب بدأت تترك أثرها في صحته .

وليس هذا وحده طبيب البلدة . فهناك عند « المردم الأدنى » طبيب . واذا عنّ لك أن تمد رجليك الى منازل « بني زراة » من تميم ، في سفح قعيقعان ، فثمت طبيب ، وآخر عند « سقيفة بني عائذة » تستطيع أن تصعد اليه من سوق البزازين عند مدخل أجياد .

ترى هل طال مشوارك ؟ أم أنت تتألم من عرج في رجليك ؟ لا .. لا يحسن بك السكوت على ما أرى. دعني أركب بك الطريق الى المسفلة ، فثمت طبيب بارع في علاج العظام .

أتشكو عجزا عن المسير ؟ الأمر يسير . هذا سوق الحمارين على خطوات منا في ساحة بني عبد مناف . أيعجبك هذا الفاره ذو البرذعة المفضضة ؟ انه من خير ما يصلح لمثلك .

ها قد أشرفنا على ما نسميه « الهجلة » ، انها دار الازلام بجوار « الحتمة » . أترى الصخيرات السوداء عندها ؟ والبيت الواقع على كتف الصخرة الكبيرة المشرفة على مبطح السيل ؟ انه بيت طبيب العظام .

لا تستهول الأمر فالدرب الى الصخيرات ممهد للمشاة والركبان ، لا يعجزك أن تقطعه راكبا في أمان .

أترى هذا المحتبي في ظل الصخرة الى جوار « الكانون » ؟ انه الطبيب الذي نقصد . وليس غريبا أن نجده خاليا الا من هذا الشخص الذي يعاين أطرافه ، فأطباء العظام هنا يتوازعون المرضى ، على أن أكثر كهول البيوت وعجائزها يطببون العظام في مهارة .

أتتردد خوف الكانون ؟ لا .. فالكي هنا آخر مراتب العلاج ، فامض ثابتا ولا تتردد . أرأيت ؟ هذه وصفة الدهان التي أوصاك بها تصدق خبري عن الكي بأنه آخر مراتب العلاج .

فسأمضي بك الى سوق العطارين لنشتري الدهان . انه دون رمية السهم في درب يتفرع من سوق « الحزورة » عند دور « آل صيفي » . ولكن أرى من الأوفق أن نتمتع بهذا الأصيل الغائم ، ما دمنا في ركائبنا ، على مشارف « المسفلة » .

هيا ولنغذ السير ، فماجل أبي صلابة(١) على نجوة منا الا تسمع خرير المياه ، وهي تنحدر اليه هابطة من مخارف التلال حوله ؟ أنظر كيف تصطفق المياه الصافية بين أركانه . انه مجمع طبيعي لمياه السيول المنحدرة اليه ، فيصرفها في جداول تسقي البساتين والمزارع الى العدوة القصوى من الوادي .

واذا شئت فلنتابع سيرنا الى « الليط » على حوافي ما نسميه اليوم « شارع منصور » ، فثمت مزارع يانعة وأشجار باسقة تعانقت فروعها فامتد ظلها وارفا .

أترى ؟ هؤلاء فتيان قريش وشبابهم في ثيابهم المحمرة ، والمصفرة ، والمعصفرة يتواكبون في ظل الأشجار على شطآن المزارع . أترى هذه الجفنة الصغيرة بين يدي هذه الجماعة في هذا الطرف الأدنى بجانب الصخرة البلقاء .

ستسألني ما هي ، وفيم كانت ؟ انها جفنة للفواكه المجففة يتنقلون بمحتوياتها في نزهتهم . انهم من شباب « بني مخزوم » . وعلى غير بعيد منهم فتيان من « بني أسد بن عبد العزي » . أما هؤلاء الذين تشهدهم يتواثبون طربين على صوت المزمار ففتيان من « هذيل » .

هذه بطون تعودت التنزه في « الليط » وفي ظل الأقحوانة (٢) في منبسط الوادي ، وبين البساتين القريبة من « الماجل » لقصر المسافة بينها وبين منازلهم . وهناك بطون أخرى من « بني عامر » ، و « بني عبد مناف » ، و « آل عتبه » ، و « آل معيط » ترتاد حائط الحمام وبساتين حول « ثنية الحجون » . وبطون أخرى من « بني كنانة » ، و « بني عبد شمس » . و « آل ربيعة » ترتاد متنزهاتها في بساتين « الخرمانية » ، ومزارع « المحصب » وما يليها من ملتويات وشعوب في الطريق المؤدي الى « منى » . وبطون أخرى من « الأزد » ، و « آل سلمة بن هشام » ، و «آل عامر ابن لؤي» ترتاد متنزهاتها في وادي « طوى » ومرتفعاتها « فخ » فيما نسميه اليوم « الزاهر » .

وثمت أعيان من صناديد قريش ، والمثرين فيها ، يشتملون بعباءاتهم المحاكة من أوبار الجمال فوق القباء الطويل المشقوق من وسطه ، ليسهل امتطاء خيولهم ، يتهادون بها في طريقهم الى المتنزهات البعيدة في منبسط حوض البقر ، والأغوار المزروعة خلف جبال المزدلفة ، والواحات اليانعة بين التلال في حواشي عرفه .

لعلك تستغرب يا صاحبي أن تكون لمكة المكرمة في هذا العهد القديم كل هذه المتنزهات ، وكل هذه البساتين ، وربما دار في خلدك أن تتهمني بالاغراق والمبالغة . لا يا صاحبي فمن الثابت أن مكة كانت في عهد من عهود التاريخ المجهولة مروجا خضراء ، وكانت غيوم الرياح الغربية الشمالية تصل اليها قبل أن تفقد رطوبتها فتنهال الأمطار غزيرة عليها . ثم ما لبثت عوامل الجفاف الطبيعي الذي طرأ بالتدريج ، ان حالت دون وصول الغيوم مرطبة ، فحرمت مكة المكرمة ، كما حرم الكثير من بلاد العرب من أمطارها . وأقول أن عوامل الجفاف أصابتها بالتدريج أي ان عوامل الجفاف في عهد قريش كانت سورتها أقل مما نشهده اليوم ، فلهذا فقدت مكة المكرمة اليوم أكثر المزارع التي كانت لعهد قريش .

اتنغض اليّ رأسك مستنكرا ؟ هون عليك ، فنحن نرى اليوم سورة الجفاف غيرها قبل خمسين سنة ، بدليل هذه البساتين في ضواحي مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والطائف وجدة التي قضى الجفاف على بعض منها فأصبحت في خبر كان .

(١) كان «ماجل ابي صلابة» مجمع طبيعي للمياه . وفي عهد المامون بني له جدار واتخذه بركة ، فقيل «بركة الماجل» ثم حرفه العوام فسموه بركة ماجد.
(٢) الاقحوانة نسميها اليوم عباد الشمس.

البتراء

المدينة الوردية الرائعة

بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري



« الخزنة » من أروع معالم البتراء الأثرية ، وهي منحوتة من الصخر الوردي في صدر الجبل

بالامكان أن نعتبر « مدينة البتراء » الرابضة بجانب الطريق الصحراوي الممتد من عمان الى معان ، فالعقبة — من أعظم مدن العالم التاريخية جمالا ، سواء في أيام انشائها وازدهارها أو بعد ذلك في آثارها وأطلالها . وتتمثل عظمة البتراء في دقة فن النحت وفن التصوير وروعة الهندسة المعمارية فيها ، مما قام به أولئك الانباط العرب الذين قدّوا أبنيتها الفارعة الرائعة من الصخر الأصم الأشم .

أسماء البتراء

وأرى أن الاسم الأصلي للبتراء ، ليس هو « البتراء » الذي اشتهرت به مؤخرا نقلا عن المستشرقين ، وانما هو « سلع » . وقد سماها بذلك ناحتو بيوتها ومنشئوها من النبط ، اقتباسا لهذا الاسم من موقعها الذي هو هذه الجبال ، أو هذه الشقوق في الجبال .. فكلا المعنيين لسلع وارد في اللغة العربية . وفي بلاد العرب جبلان سميا باسم « سلع » أحدهما يقع بقرب المدينة المنورة عن شمالها ، والثاني في بلاد هذيل .

ومما يؤكد لي أن اسم المدينة الأصلي العربي هو « سلع » قول ياقوت الحموي في « معجم البلدان » : (وسلع أيضا حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس) . فلا مرية في أن ياقوتا انما يعني بهذا مدينة البتراء ، وقد سماها حصنا ، لأنه لم يهيأ له التجوال في ربوعها واكتشاف قصورها ومعابدها وأسواقها وملاعبها ومقابرها . ولعله عني بالحصن ، الحصن الذي أقامه الصليبيون فيها ، فذكره دون غيره مما هو أهم وأعم وأطم . وباسم « سلع » سماها شاعر العرب المرحوم فؤاد الخطيب في قصيدته العصماء عنها ، اذ قال :

هي « سلع » والبتراء ترجمة اسمها
نسجت عليه عناكب الاهمال

ويفيدنا الشيخ فؤاد الخطيب في ديوانه ، وهو شاعر لا يجارى وعالم عميق العلم بأن للبتراء اسما ثالثا هو « وادي موسى » . وقد مرّ بنا قول « معجم البلدان » أن « سلعا » التي هي البتراء نفسها حصن بوادي موسى ، واذن فيكون هذا من المجاز المرسل من باب تسمية الحالّ — بتشديد اللام — باسم محله .

وهذا ومما ينبغي التنبيه اليه أن اسم « البتراء » بالصيغة نفسها قد ورد في كتب السيرة ومعاجم البلدان والتاريخ العربية ، وهو ليس مطلقا « بتراء وادي موسى » . وقد لخصت من مراجعاتي لما ورد عن البتراء هذه التي لا تمت الى « مدينة الانباط » موضوع هذا المقال — بأية صلة — أنهما بتراوان ، أحدهما : البتراء الواقعة على نحو مرحلة من المدينة المنورة ، وقد سلكها النبي عليه الصلاة والسلام في غزو بني لحيان ، موريا بأنه يريد الشام . والثانية تقع قرب تبوك ، في بلاد بني الحارث بن كعب ، وقد مرّ بها النبي صلى الله عليه وسلم أيضا في طريقه الى تبوك ، وبنى فيها مسجدا ، والمسجد يقع في طرف البتراء من ذنب كواكب أو كوكب : جبل هنالك.

الشعر يصف البتراء

وفي وصف مدينة « البتراء » موضع البحث يقول فؤاد الخطيب :

وشهدت فيه(1) مدينة منحوتة
في الصخر نحت مشيد التمثال
موصولة حجراتها بفنائها
نقرا على عمد لهن ، طوال
وكأن ساطع نقشها وطلائها
لهب توهج ، لا بريق صقال
والقصر نحو القصر ينظر شامخا
نظر المدلّه ، مؤذنا بزيال
بلد كأن يدا دحته ، فخرّ من
قلل الجبال ممزق الأوصال
فهنا الصخور على الصخور تحطمت
وهناك منه حقيقة كخيال

ومن قول « فؤاد الخطيب » عن نفسه (وشهدت فيه مدينة منحوته .. الخ) .. نفهم جزما أنه زار البتراء وتجول فيها ، وتأمل بعين الشاعر العالم النفاذة ، وبعد ذلك كله نظم درته الفريدة فيها نظم شاعر مشاهد متأثر بما شاهد .

ملاحظة لغوية

لقد تبدت لي ملاحظة جانبية حول ما يتعلق بأصل اسم « البتراء » وهذه الصيغة بالذات ، فاننا اذا رجعنا الى مادة « بتر » في اللغة العربية فاننا نجد من معانيها « القطع » ، ومنه السيف الباتر أي القاطع .. (ان شانئك هو الأبتر) أي هو المنقطع عنه العقب أو الخير . والبتراء المدينة النبطية هي مقطوعة القصور والدور والحوانيت من جبالها الصم . أفلا يصح اذن أن يكون اسم « البتراء » عربيا ، ومن هذه الصيغة العربية الصميمة ؟!

موقع البتراء

تقع مدينة البتراء على مسافة ٢٧١ كيلومترا من العاصمة الأردنية « عمان » ، وتختبىء في تجويفة منحرفة واطئة شديدة الانحدار بوادي موسى بالجانب الأيمن من الطريق الصحراوي الذي يسير بجانب هذا الوادي صوب معان والعقبة ، ومدخلها هو « مسيل وادي موسى » الشديد الضيق والانحدار ، والمملوء بالصخور والأتربة والهوّات والحجارة والتعاريج ، المعروف باسم « السيّق » . وفي مدخل وادي موسى الذي تقع مدينة البتراء في أواسطه وأواخره ، رأينا الحدائق الغُلّب من عنب وتين يسقيهما ماء سلسبيل يهبط عليهما من نبع من جبل هو أقرب الى الطريق الصحراوي بالنسبة الى داخلية الوادي والى مدينة البتراء . ويروى أن هذا النبع الفياض ذا الماء النمير هو الذي كان فجّره موسى عليه السلام اثنتي عشرة عينا ، حينما ضرب بعصاه الحجر هنا ، ولا أستبعد ذلك فالموقع يدل عليه . كما ان الضريح المنسوب الى موسى عليه الصلاة والسلام لا يبعد كثيرا عن هذا المكان ، وهو على ربوة عالية بجانب الطريق الصحراوي الممتد بالاسفلت اليوم الى مدينتي معان والعقبة . كما أن ضريح أخيه ووزيره « هارون » يقال بوجوده أيضا قرب هذا المكان .

النثر يصف جمال البتراء

ونعود الى وصف فؤاد الخطيب في شعره للبتراء ، فنخاله من أوائل من قاموا بهذا الوصف الرائع شعرا لمدينة البتراء . وكما أسهم « الشعر العربي الحديث » في وصف محاسن البتراء ، فمثل صنيعه صنع النثر العربي الحديث ، فجاء في مقال لكاتب معاصر قوله : (تعتبر البتراء تحفة نادرة من الجمال والروعة ، وتتشابك فيها الألوان الحمراء والصفراء والسوداء والبيضاء ، فتختلط وتتماوج ، كأنها البحر الذي كان يغطيها من عصر التاريخ الأول) .

وهذا الوصف النثري في قطعة نثريةهو أشبه بمقطوعة شعرية رائعة ، وهو مطابق تماما لما

(1) اي في وادي موسى

شاهدناه من تماوج الألوان في مدينة الانباط الوردية ، وبالأخص في القصر المعروف « بالخزنة » الذي لا يزال كما كان .

وقفة أمام « الخزنة »

والواقع أننا مكثنا أمام « الخزنة » هذه ، مشدوهين بعظمة فن النحت وبجمال قوام المبنى ، وبرشاقته وتماوج الألوان الطبيعية فيه ، بما يفوق الوصف ويفوت على الاستيعاب . ومع أن « الخزنة » في ألوانها المتشابكة هي طبيعيّة فلكأنها قطعة فنية استعمل فيها الفنان عشرات الألوان الممتزجة ببعضها البعض . ويتجسد كل هذا الجمال الفني في « الخزنة » حينما تشرق على وجهها الوردي المشرق ذُكاء .

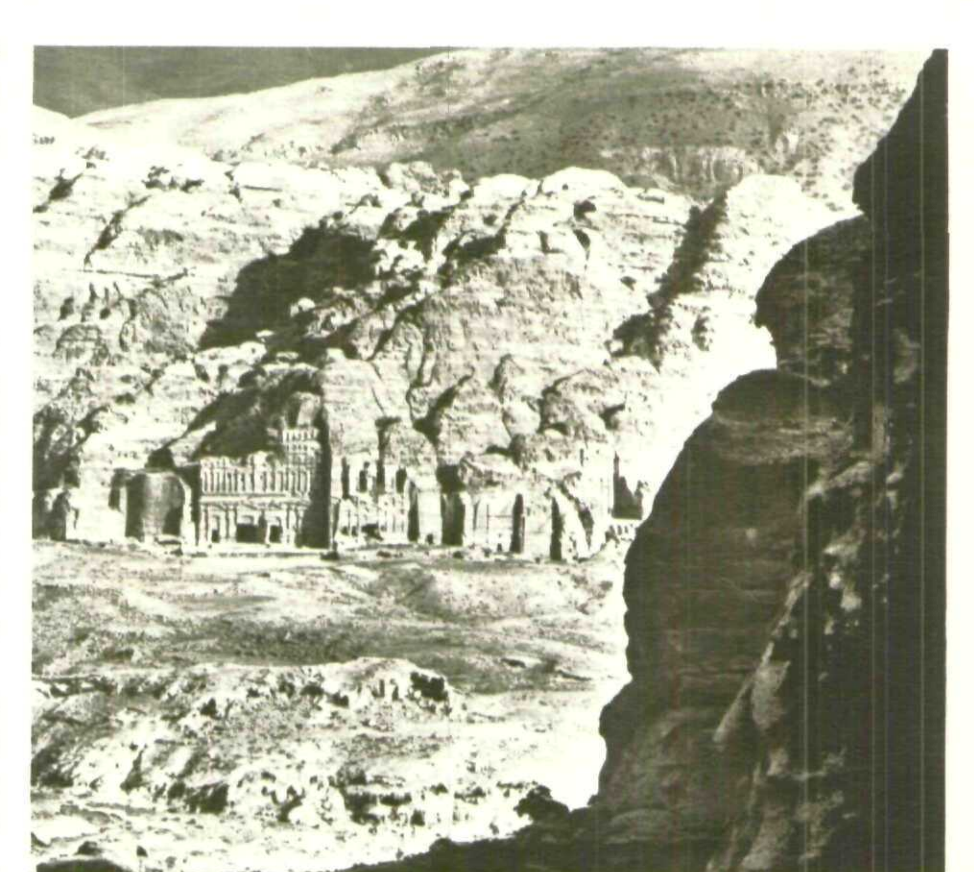
ومع أن الجبل الذي نحتت فيه « الخزنة » ليس قويا صلدا ، فقد تمكنت من النجاة والبقاء الى هذا اليوم ، وربما يعود بعض ذلك الى حسن اختيار موقعها الذي تزاور عنه الشمس طرفي النهار ، وتحيد عنه العواصف . وقد بنو أمامها دكة عالية وواسعة ، وربما كانت مجلس سراة القوم في الأسمار وطرفي النهار . ولهذه الدكة فوائد جزيلة تتمثل في حماية « الخزنة » نفسها من جوارف السيول في هذا المسيل الهدار . وقيل لنا : ان تحت هذه الدكة خزان ماء كبير قد يكون امتلاؤه من مياه المطر المارة « بالسيق » كل عام ، وهكذا تكون الدكة مزدوجة الفوائد ، مما يدل على براعة فائقة وعقل راجح في فن العمارة لدى الأنباط .

مرقص البتراء

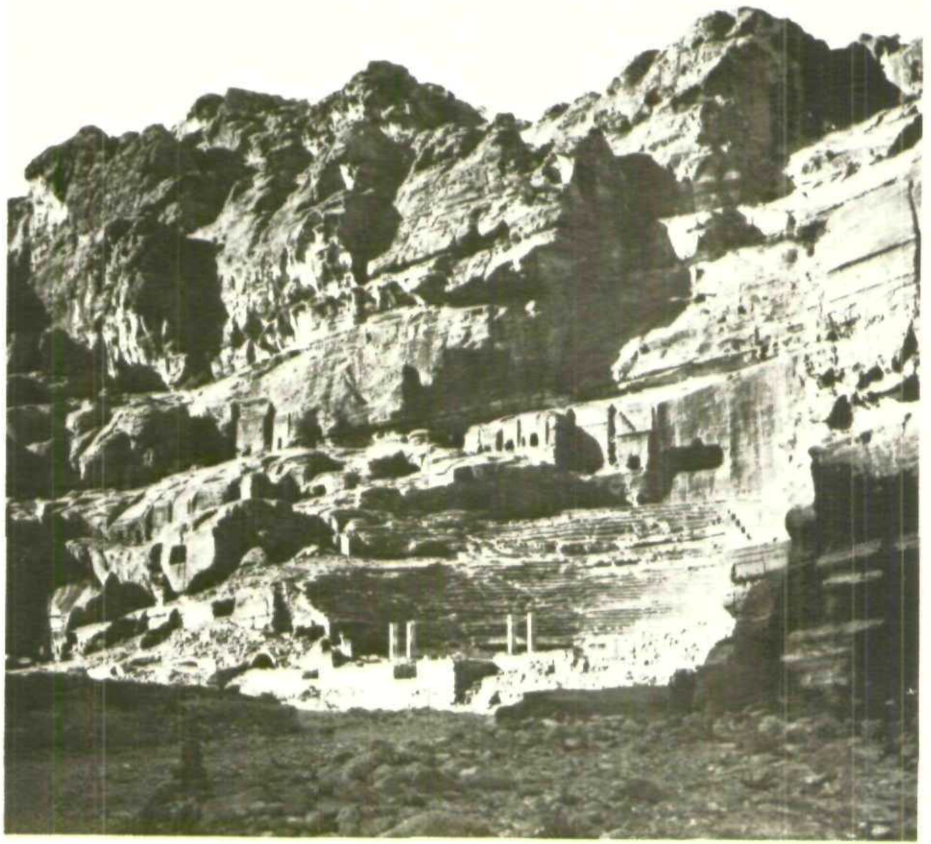
وبعد « الخزنة » شاهدنا المبنى المعد للرقص ، وهو دكة واسعة ، وبها بعض الجدران التي بنيت بالجنادل . وقد اخترقت بعضها شجرة « البطم » . والبطم شجرة ضخمة الساق ، منحنية الى الأمام . وأوراقها غير كبيرة وتميل الى الاخضرار . وقيل لنا : ان لها من العمر الآن نحو ١٨٠٠ عام .

لمحات من تاريخ البتراء

ويقول لنا متتبعو تاريخ البتراء أو سلع : أن أول من سكن البتراء هم « الحوريون » سكنة الكهوف ، وذلك لملاءمة طبيعة المنطقة لهم . ثم حل الانباط العرب مكانهم وشادوا من جبال



جانب من القصور النبطية المنحوتة في الصخر على طول الجبل في مدينة البتراء .



المسرح الروماني ، وهو أيضا منحوت في الصخر .

المنطقة المتدانية المتقابلة هذه المدينة الفخمة حول هذا الشق أو « السيق » كما يطلق عليه الآن ، ولا أدري هل هم شقوه أو وجدوه مشقوقا بطبيعته . وقد شادوا مدينتهم هذه في موقع حصين لا يصل اليه الغزاة الا بعد جهد جهيد . وقد تمكن الأنباط من مدّ رواق ملكهم الى شرق وغرب ، والى جنوب وشمال ، وضربوا النقود الذهبية والفضية وأقاموا دولة ذات كيان مستقل ، لها كل مقومات الدولة المنظمة . كذلك بنوا المراكب البحرية واستقبلوا القوافل البرية التجارية المحملة بمختلف السلع من مختلف أقاصي البلدان ، وكان لهم خطهم الذي به يتكاتبون . ومن خطهم اشتق عرب الجاهلية الأخيرة في مكة المكرمة هذا الخط العربي الذي نكتب به الى اليوم . ومما دلنا على عروبتهم أسماء ملوكهم ، فمنها الحارث الأول ، ومالك الثالث ، الذي كان يعاصر الامبراطور الروماني « نيرون » . ومنها أيضا رئبـال ، و « الرئبال » في اللغة العربية من أسماء الأسد .

وبعد تأخر أوضاعهم دخل مدينتهم غيرهم ممن استهواهم جمالها وحصانة موقعها وربما بقيت بقايـا من الأنباط اندمجوا فيما بعـد بهؤلاء الداخلين .

وأول من غزا البتراء واستخلصها من الأنباط الرومان ، وتلاهم غيرهم من الأمم . وللرومان آثار ضخمة في البتراء مما يدلنا على نجاحهم في اقامة كيان لهم بها وطول مكوثهم فيها . وظهر الاسلام في القرن السابع الميلادي وكانت البتراء معمورة ومأهولة . وتقلبت بالبتراء حوادث الزمن ، فنسيت ، لأن موقعها المختفي وراء أسوار الجبال النائية عن العمران أهلّها لذلك الاختفاء في عصور الاضطراب . وحينما قدم غزاة الصليبيين رأوا في البتراء موقعا حصينا يمكنهم من صد هجمات المسلمين . ورأوا فيها خط نار يتحكم في الطريق الصحراوي الممتد بين عمّان والعقبة . فاتخذوها مقرا لهم وأقاموا بها حصنا لم نشاهده لانشغالنا بآثار الأنباط والرومان طوال النهار . فالبتراء مدينة واسعة ولا بد للزائر من جولات فيها تستغرق معظم وقته . ولا يمكن له ، مع ذلك ، الوقوف على كل آثار الأنباط والرومان بها لتقاصيها عن بعض ، ولعدم تمكن استعمال السيارات فيما بينها لوعورة السبل في داخلها ، ولأن أغلبها واقع على قمم الجبال أو في سفوحها الدانية من هذه القمم . وفي الصعود اليها مشقة كاربة ، خاصة اذا لاحظنا العناء والجهد اللذين يلاقيهما زائر البتراء من طول



« الدير » ، نموذج مصغر للخزنة ويقع على سفح أحد جبال البتراء .



واجهة المدخل الرئيسي المؤدي الى الخزنة .

« السيق » الموصل اليها وصعوبة اجتيازه . وقد سمى الصليبيون قلعتهم باسم « سيل » .. وهذا الاسم هو مأخوذ من اسم « سلع » العربي للبلد . وقد شوهته اللكنة الافرنجية فكسرت السين وأتبعتها بياء . وربما كان مجرد علامة حركة الكسرة فقط . وحذفوا العين في آخر الاسم لعدم وجودها في لغاتهم ، فصار اسم القلعة « سيل » . وهذه القلعة ، كما نرى ، هي التي وصف من أجلها ياقوت الحموي في معجمه، البتراء كلها بأنها حصن . ولم يعلم أن الحصن المقام في عهد الصليبيين انما أقيم على مدينة عربية موغلة في القدم ، وموغلة في الروعة والفخامة ، وهي « سلع » وهي « البتراء » . ولم يعن ياقوت نفسه بالوصول الى هذه المدينة ، فاكتفى بمعلومات سطحية عنها . ويحسبه فخرا أنه ذكرها باسمها العربي ، وذكر الحصن الصليبي باسمه العربي الفصيح « سلع » ، مما يدلنا على أن عرب ذلك الزمان كانوا يعرفون هذا الحصن الصليبي بهذا الاسم كما يدلنا على غياب المدينة النبطية عن أذهانهم لأيغالها في الاهمال والنسيان ، ولأغراقها في النأي عن مواقع السكان .

عودة الحياة إلى البتراء

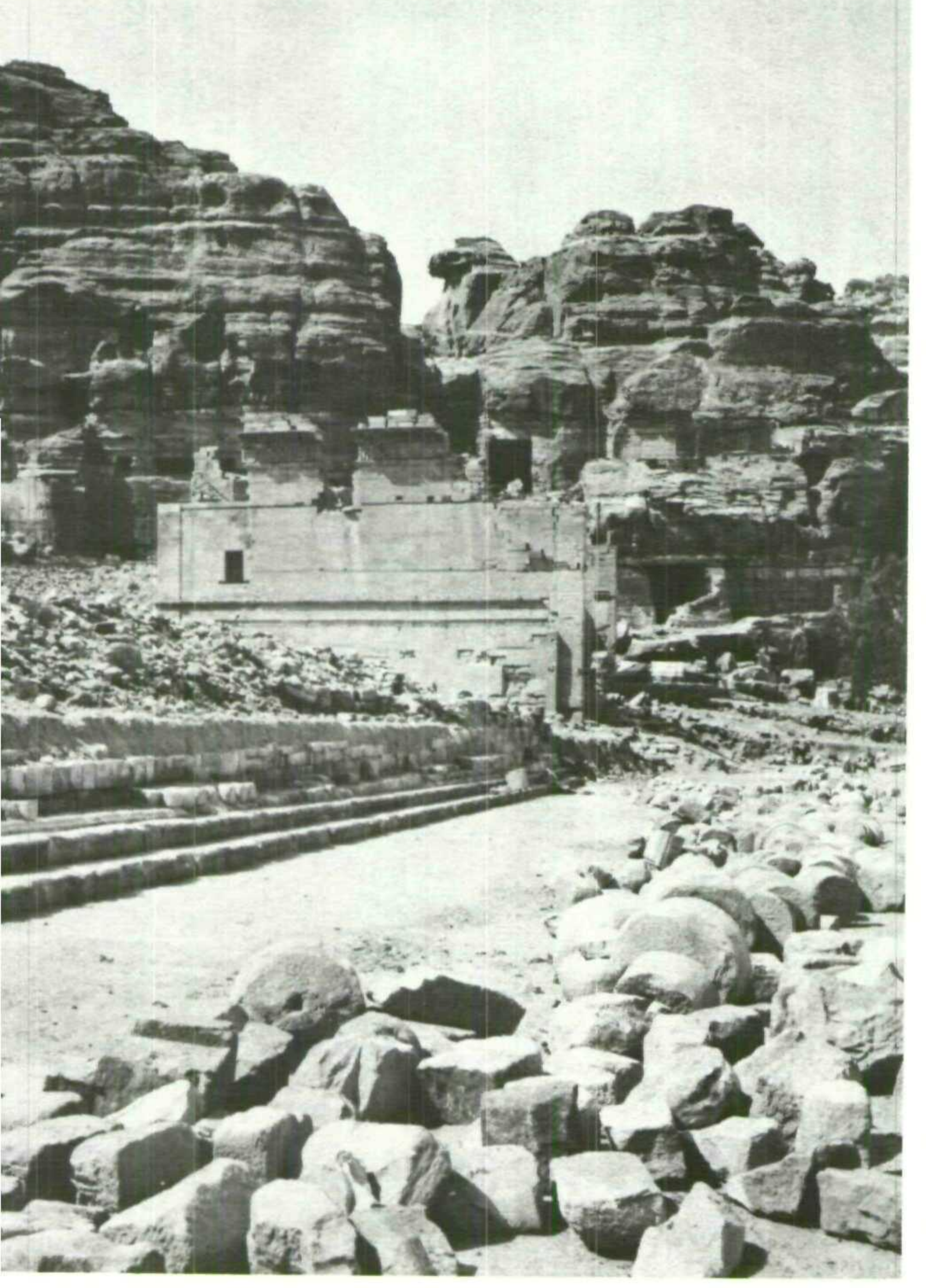
ومدينة البتراء يراد لها اليوم عودة الحياة كتحفة عربية وأثرية عالمية باهرة ، وهي تستحق ذلك . وقد رمّمت بعض قصورها ، وحوّل بعضها الى استراحات جميلة جمعت بين روعة القديم وجمال الحديث ، كالمقصف الحديث الذي تناولنا فيه الشاي والمرطبات ، وشاهدنا في جنباته وعلى كراسيه مختلف السواح يستمتعون بطيب هواء البتراء ويرتاحون فيه من عناء التجوال ، سيرا على الأقدام أو ركوبا على الخيل ، بين قصورها ونحائتها المثيرة للاستطلاع والوقوف .

مقصف البتراء

وهناك في المقصف الأردني الحديث المشار اليه استمتعنا بأحاديث فتى بدوي تسلق أمامنا واجهة الخزنة الخطيرة العالية بخفة متزايدة وبدون مبالاة كما يتسلق « الليمور » المدغشقري عاليات الأشجار بخفة وطيران . وقد أمتعنا هذا الفتى بأحاديثه العذبة عن آثار البتراء فهو بها خبير ، وربما أخطأ في تاريخ بعضها فيراجعه عالم الآثار الأردنية الأستاذ محمود العابدي الذي رافقنا في رحلتنا ، ويشرح لنا الحقيقة كما هي أو كما يراها هو .

متحف البتراء

وخلال مكثنا بالمقصف البديع لفت نظري منظر بناء منحوت ، فقصدته منفردا وتركت في المقصف الأخوين المرافقين : معالي الشيخ عبد الله السعد ، والأستاذ عبد الله بن خميس ، وقد صعدت الى المبنى العالي من سلم حجري متآكل رمم بعضه حديثا وبقي بعضه على حاله . وهذا السلم مع تداعيه وتآكله ، هو من النوع العالي ، وهو متعرج كذلك . وحينما بلغت المنزل ، وجدته ذا غرف واسعة منظمة ، وضع في بعضها الآثار المكتشفة بالبتراء من تماثيل ونقوش وأوان فخارية وغيرها . وبعض هذه التماثيل رومانية



الشارع الرئيسي الذي يفضي الى المعبد الروماني المشهور في البتراء .

الأصل . وقد لحق بي في المكان ثاني رواد رحلتنا الأستاذ عز الدين التل، ثم تركته يتجول وحده هنالك .

ما هو السّيق ؟

« السيق » كما مرّ بنا هو الطريق الوحيد الى مدينة البتراء ، ليس لها منفذ أو مدخل فيما علمت سواه . وربما كان من أسباب اختيار الأنباط ومن قبلهم ومن بعدهم للاقامة في البتراء تحكم هذا « السيق » أو هذا الشق أو هذا المسرب الوحيد ، في المدينة ، فلا يستطيع غاز أن يقتحمها بحال من الأحوال ما دام « السيق » في يد أهلها ، وما داموا يتحكمون في مدخلها الوحيد . انهـا اذن مدينة محصنة تحصينا طبيعيّا محكما بمعنى الكلمة .

« والسيق » شق ضيق شديد التعرج والانحدار ، كثير الحجارة والجروف . وهو يخترق الجبال المحيطة به حتى يكاد المرء يتصور أو يتخيّل انه شق اصطناعي بسبب تقارب الجبال من حواليه تقاربا شديدا جدا مع علوها عنه ، ومسايرتها لـه في تعاريجه الوفيرة المثيرة . ويبلغ ارتفاع هذه الجبال عن هذا الشق من ٢٠٠ متر الى ٣٠٠ متر . والجبال كلها نحاسية اللون يغلب عليها لون الورد الأحمر الداكن ، ولكنها لا تصل في الألوان الى مستوى ألوان (الخزنة) الآنفة الذكر . وقد تذكرت وأنا أجتاز هذا السيق وأشاهد ألوان جباله الداكنة — تذكرت سميّ هذه الجبال — سلعا — في المدينة المنورة ، لمشابهتها في اللون تقريبا .

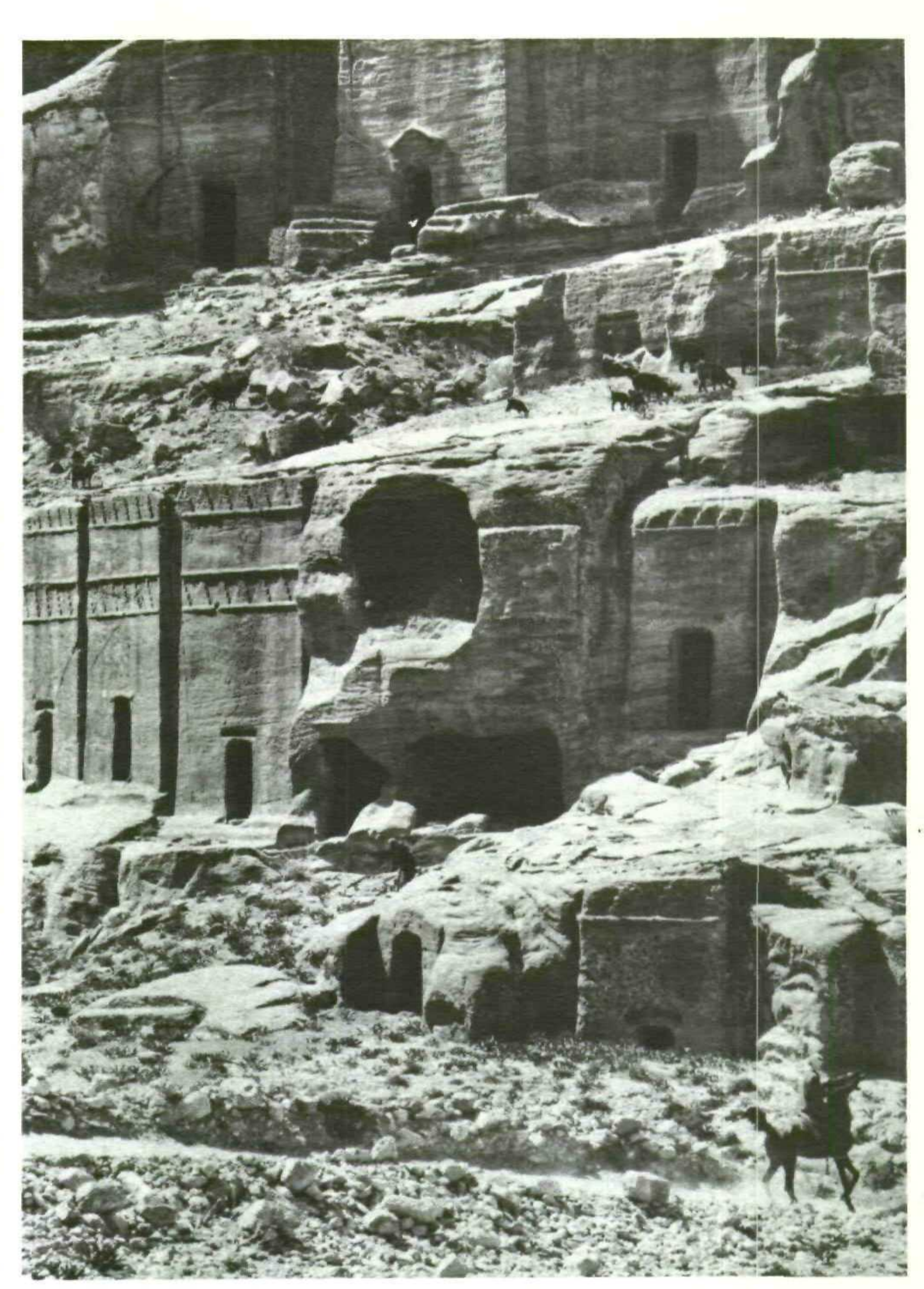
وقد أدركت من آثار ترتيبات أطراف السيق أن السيق هذا كان مبلطا بالحجارة ، ولكن مرور القرون أتلف البلاط . وطول مسافة السيق كيلومتران .

ويرى « لانكستر هاردنج » خبـير آثار الأردن في كتابه « آثار الأردن » الذي عربه الأستاذ سليمان موسى وزميله، أن السيق محرف عن صيغة « الشق » ، وأنا أرى رأيه نظرا لتقارب مخارج حروف الصيغتين ، وسهولة التحريف في مثلهما طيلة الأجيال .

مِنْ آثارِ البَتراء

وقد شاهدنا على جانبي سفوح جبال السيق محاريب صغيرة ربما كانـت نماذج لعبادة الانباط . كما شاهدنا قنوات مائية محفورة في سفوح الجبال لتروي سكان المدينة التاريخية ، وشاهدنا كذلك معبد « جوبيتر » ومحكمة رومانية عالية . والبتراء مقسمة الى مدينتين : مدينة الأنباط وهي التي تلي الطريق الصحراوي ، ومدينة الرومان وهي التي تقع بعدها الى الداخل من ناحية المصرف المائي . لقد أراد الرومان أن تكون مدينتهم في البتراء ذات كيان مستقل متميز ، نوعا ما .

وفي البتراء فندق مكيّف بالهواء يربض فوق متن التل المشرف على مدخل السيق ، وهو استراحة أثرية قديمة حديثة معا من النحائت النبطية التي نبشت عنها الحكومـة الأردنية وأعادتها كما كانت . وكنا نرى في البهو نحائت ربما كانت مقابر لأصحاب هذا المنزل أو هذا القصر ، ولكنها نظمت على نسق فني بديع جعلها من مفاخر البتراء .



جانب من الأضرحة النبطية المنحوتة في الصخر .

تصوير : وولترز

نظرات في القصة القصيرة

بقلم الاستاذ حسين القباني

كلنا يعرف أن للقصة ألوانا وأشكالا مختلفة ، منها المطولة « الرواية » والقصة المتوسطة ويمكن ادخالها في نطاق الرواية . ثم القصة القصيرة . وللقصة القصيرة ألوان مختلفة أيضا ، ولكنها تنقسم الى نوعين أساسيين ، القصة العادية أو العامة ، والقصة التحليلية الأدبية والفنية . وسنترك الحديث ، الى حين ، عن القصة التحليلية لأنها أشق أنواع القصة القصيرة وأحوجها الى الموهبة والنبوغ .

أما القصة العامة فان في مقدور كل كاتب مزوّد بدراسة أصولها وقواعدها ، ولديه الاستعداد للكتابة القصصية أن يبرز فيها وان ينتج منها مئات بعد مئات دون توقف . المهم أن يتقن « علم » هذه القصة . وأقول « علم » عن عمد ، لأن لكل علم قواعد وأصولا ومنهجا معيّنا وخطا واضحا يسير فيه الدارس حتى يصل الى النجاح المنشود .

ما هي القصة القصيرة ؟

سؤال قد يبدو بسيطا لأول وهلة ، ولكن عند امعان النظر واعمال الفكر سوف يتبين للكاتب أو القارىء أن تعريف القصة القصيرة ليس بهذه البساطة . ولعل خير من عرّف القصة القصيرة في عبارات قليلة مركزة هو الكاتب الانجليزي الكبير « ه. ج. ويلز » اذ يقول : « .. ان القصة القصيرة هي حكاية تجمع بين الحقيقة والخيال ويمكن قراءتها في مدة تتراوح بين ربع ساعة وثلاثة أرباع الساعة » ، وان تكون على جانب من التشويق والامتاع وليس مهما أن تكون خفيفة أو دسمة ، انسانية أو غير انسانية ، زاخرة بالأفكار أو الآراء التي تجعلك تفكر كثيرا بعد قراءتها ، أو سطحية تنسى بعد لحظات من قراءتها . المهم كله أن تربط القارىء مدة تتراوح بين ربع ساعة وخمسين دقيقة ربطا يثير فيه الشعور بالمتعة والرضى .. »

قد يختلف بعض النقاد في هذا التعريف ، وقد يرى غيرهم أن القصة مجرد حكاية يرويها الكاتب طبقا لأصول وقواعد معينة ، وقد يرى آخرون انها تصوير لحدث وقع لشخص عادي في ظروف غير عادية ، أو لشخص غير عادي في ظروف عادية .

وأيا كانت هذه الآراء ، فلا مندوحة من القول ان القصة القصيرة تختلف أشد الاختلاف عن القصة المطوّلة « الرواية » ، وان أبرز خطأ يقع فيه الكاتب الجديد هو ان يظن أن القصة القصيرة ملخص لرواية فيحشدها بالأحداث والشخصيات غير ملتفت لعنصري المكان والزمان وغيرهما من العناصر التي تفرق بين القصة القصيرة والمطولة .

القصة القصيرة لا يمكن أن تكون ملخصا لرواية ، ولا فصلا فيها . ان لها مقوماتها الخاصة وشخصيتها الذاتية وقواعدها وأصولها التي تختلف عن قواعد وأصول الرواية . فالرواية تهتم بالتفاصيل الدقيقة بوجه عام ، وتتعدد فيها الشخصيات والحوادث والمواقف ، ومجال الاسهاب فيها وتضمين أكبر عدد ممكن من الأفكار والآراء متّسع بلا نهاية . بينما نجد القصة القصيرة تدور في نطاق حادث أو عدد بسيط من الأحداث التي تركز ضوءا قويا على فكرة أو هدف أو شخصية أو حافز . انها ومضة ضوء مركزة على شيء خاص . وعلى الجملة انها مزيج قوي مركز من الشخصية ، والحافز ، والحدث .

ومع هذا كله فهناك عناصر أخرى كثيرة يجب أن تتوافر في كل قصة ايا كان نوعها ولست أعني بهذه العناصر مسألة « البداية والوسط والنهاية » التي أصبح القارىء يعرفها قبل الكاتب . ولكنني أعني العناصر التالية :

مـن : الشخصية أو الشخصيات في القصة .
أيـن : المكان .
متى : الزمان .
كيف : الحدث أو الأحداث .
لماذا : مبررات الأحداث المنطقية .
النتيجة : أي النهاية .

والخطوة الأولى في كتابة القصة هي البحث عن موضوع . والمعروف أن في مقدور بعض كتاب القصة الكبار أن يكتبوا قصة كل يوم أو أن يجدوا في كل يوم أكثر من موضوع لكتابة قصة قصيرة . ولكن ليس في مقدور كل كاتب أن يتمتع بهذه القدرة لا سيما اذا كان في أولى مراحل حياته الأدبية .

والحصول على موضوع للقصة لا يعني مجرد أن يجلس الكاتب ويصوغ الموضوع في قصة صالحة للنشر . ان الكاتب المحترف قد يستطيع أن يفعل هذا بحكم الدراية والمران والخبرة ، ولكن حتى هذا الكاتب المحترف يفضل في معظم الحالات لو أتيحت له الفرصة ، أن يترك الموضوع مدة غير محددة بزمن ليختمر وينضج تماما ثم يصاغ في قصة جيدة السبك .

وليس من الضروري أن يكون الموضوع ضخما ، وانما قد يتطور من عبارة تسمعها أو حدث تراه أو كلمة بسيطة .

لنأخذ على سبيل المثال كلمة «حجرة» ولكي نجعل منها موضوعا لقصة أو أكثر ينبغي أن نستخدم طريقة تداعي المعاني للمساعدة على تخميرها ونضجها في الذهن . وتداعي المعاني طريقة معروفة في مبادىء علم النفس ، ولست أعتقد أن هناك كاتبا قصصيا أو من يريد أن يكون كذلك ، دون أن يكون على إلمام بشيء من علم النفس .

وبطبيعة الحال قد يختلف تداعي المعاني بين انسان وآخر ، ولكن النتيجة عادة تكون واحدة ، أي الوصول الى كلمات يمكن ربط معانيها في النهاية لتكون قصة جيدة .

وتطوير الموضوع الى قصة صالحة للنشر ليس له طريق واحد معترف به . وانما له قواعد رئيسية ، وخطوط عامة تؤدي في مجموعها الى أفضل الطرق للوصول الى هذا الهدف .

وليس من الممكن أن نحدد جميع هـذه القواعد والخطوط ونجعل منها تركيبة واحدة ولكن

من الممكن أن نعرض أهم هذه القواعد والخطوط الرئيسية التي يتكوّن منها هيكل القصة المتطوّر من الموضوع .

وهيكل القصة يقوم على ثلاث دعائم أساسية :

العقدة .

الصراع الناشيء عن العقدة .

الحل الناشيء عن الصراع .

هذه الدعائم ليست مجرد « تركيبة » نظرية ، لأنك اذا حللت آلاف القصص فسوف تجدها كلها أو معظمها ، قائمة في هيكلها ، على هذه الدعائم الأساسية . وما عليك الا أن تتذكر آخر قصة قرأتها ، مؤلفة أو مترجمة ، ثم تتساءل فيما بينك وبين نفسك : هل كان موضوعها ينطوي على عقدة . وهل كان البطل يواجه مشكلة معينة ، وهل كانت هناك ظروف معيّنة تدفع البطل الى اتخاذ موقف معين ، وأخيرا كيف استطاع البطل أن يواجه هذه الظروف أو أن يخرج منها .

ومرة أخرى تذكّر قصة ثانية وثالثة .. ولسوف تدهش حين تجد أن كل قصة منها لا تخلو من عقدة ، أو مشكلة أو موقف معين ، أو ظروف خاصة ، وان هذا كله يؤدّي بدوره الى نوع معين من « الصراع » أو « الحركة أو التصرف » الذي يؤدي في النهاية الى النتيجة أو الحل .

هذا هو الخط الرئيسي الأول في تطوير الموضوع ، وقد تتفرّع من العقدة الأساسية عقد أخرى صغيرة فرعية التي مهما بلغ عددها ، فلا بد للكاتب أن يذكر دائما هذه الدعائم الأساسية الآنفة الذكر .

ولا مندوحة لنا من القول بأنه لا يمكن فصل العقدة عن الصراع ، لأن العقدة تستلزم حتما نوعا من الصراع ، كما انه لا يمكن وجود نوع من الصراع بدون عقدة وما دام الأمر كذلك ، أي ما دام كل منهما مكملا للآخر ولا غنى له عنه ، فان الصراع لا بد أن يؤدّي بدوره الى نتيجة .

ويحسن أن نتناول كل دعامة من هذه الدعامات على حدة لنوضحها بشيء من التفصيل الذي يجعلك تعجب في النهاية كيف فاتك ملاحظة هذا كله رغم كل ما قرأت أو كتبت من قصص .

والواقع أن معظم الكتّاب الموهوبين — كالشعراء القدامى — عرفوا هذه القواعد بمواهبهم ورهافة أذواقهم وطبقوها بلا دراسة أو قصد . والآن ..

ماذا نقصد ، على وجه التحديد ، بكلمة « العقدة » في حديثنا عن القصة القصيرة ؟

ان العقدة المتطورة عن موضوع القصة القصيرة تنطوي عادة على شيئين : الاضطراب أو الحيرة ، ثم الهدف .

ولنضرب أمثلة على هذا :

ان السيد عيسى ، الأديب الناشيء ، يعيش في بلدة نائية عن العاصمة . ويواجه موقفا عصيبا . انه مدين لصاحب البيت بايجار ستة أشهر وصاحب البيت قد حجز على متاعه وأصبح مهددا بالطرد وفي الوقت نفسه يحب فتاة من أسرة على شيء من الثراء وينوي أن يخطبها ويتزوجها ، فماذا يفعل ؟ هل يكشف نفسه أمامها ويطلب منها قرضا بعد أن استنفد جميع معارفه وأصدقائه في طلب القروض ؟ هل يترك البلدة ويختفي في العاصمة تاركا وظيفته وخطيبته وكل شيء ليبدأ حياته من جديد ليصبح كاتبا كبيرا كما يتمنى أن يكون ؟

نرى هنا أن السيد عيسى واقع في ورطة ، وهي مشكلة الايجار المتأخر الذي يهدده بالطرد من مسكنه ، انها مشكلة لا بدّ لها من حل .

والآن ما هو هدف السيد عيسى ؟ انه العمل على حل هذه المشكلة وهذا الحل يستلزم نوعا من التصرّف أو الحركة، ولكي يفعل هذا لا بد له من أن يبذل مجهودا ايا كان .

ومن ناحية أخرى قد يكون الهدف سببا لوقوع « البطل » في مشكلة أو مأزق . ولنفرض أن السيد عيسى يريد أن يتزوج هذه الفتاة الثرية ، وهذا يستلزم منه الحصول على المال اللازم في أقرب فرصة حتى يبدو أمام أهلها انه شاب جدير بها .

هل يكتب رواية ناجحة تدر عليه مالا وفيرا ؟

هل يلجأ الى الاحتيال — أي الطريق غير المشروع ، ليحقق غرضه ؟

هل يرغم والده العجوز على بيع قطعة الأرض التي يعيش على ريعها ؟

انه في ورطة فعلا ، وهذه الورطة ناشئة من الهدف الذي يريد أن يصل اليه .

هذه أمثلة بسيطة ، وسهلة ، ولكنها كافية لتوضيح الفكرة العامة أو المعنى الخاص « للعقدة » ومن الممكن لأي انسان يريد أن يغدو كاتبا قصصيا أن يضع السيد عيسى في « ورطات » أو « عقد » لا حصر لها مثل :

ان أهل خطيبته يرفضون اتمام زواجه منها .

ان رئيسه في العمل يهدده بالنقل الى مدينة أبعد عن العاصمة .

ان ابنه الوحيد مريض وفي حاجة الى عملية جراحية عاجلة لا يمتلك هو نفقاتها .

انه يكره العمل الذي يتكسب منه ويشعر ان استمراره فيه سيؤدي الى انهيار عصبي .

انه عاطل عن العمل . وضاقت به الحال ، وسوف يموت اذا لم يبادر الى علاج صدره من المرض في مراحله الأولى .

انه يلتقي بفتاة جميلة في محنة فيحاول أن يساعدها ولكنه ، لأسباب خارجة عن ارادته ، يزيد من محنتها ويجعلها تعيش حياتها تعسة .

وهكذا يمكن أن نضع السيد عيسى في مئات المآزق التي تزيدك يقينا بأن الموضوعات القصصية لا ينضب لها معين . وقد تكون بعض أو كل هذه « المآزق » التي ذكرناها بسيطة ، أو بدائية ، أو مكرّرة ، ولكن الكاتب القدير يستطيع أن يتناول كلا منها من زوايا مختلفة ، ويصوغ من كل مأزق ، عددا من القصص .

ولنتناول المأزق الأول على سبيل المثال :

ان السيد عيسى يعجز عن اقناع أهل خطيبته بالموافقة على زواجه منها بعد أن تبين لهم أن راتبه أقل كثيرا مما زعم لهم . انه يحاول جاهدا أن يبيّن لهم أن المال ليس كل شيء ، وان مرتبه مع مرور الزمن سيزداد فضلا عن هدفه الكبير ليكون كاتبا مشهورا واسع الثراء . أهل خطيبته يسخرون من آماله ، يلجأ الى خطيبته ويطلب منها أن ترفض كل من يتقدّم الى خطوبتها ، مؤكدا لها انه سينجح في حياته بعد سنوات قليلة ، خطيبته تعاهده على الوفاء .. ينجح السيد عيسى في الانتقال الى العاصمة ، يكافح بجد واجتهاد لتحقيق أهدافه .. يفاجأ بعد شهرين أو ثلاثة بنبأ زواج فتاة أحلامه من رجل يكبرها بعشرين عاما ، ولكنه واسع الثراء .. تزداد آلام السيد عيسى رغم أن المأزق الذي كان فيه قد تحوّل الى هدف أيضا ، فأصبح أمامه هدفان : ان ينجح كأديب ، وان يجعل الفتاة وأهلها يندمون على رفضهم له .

والى هنا يمكن للكاتب أن يصل الى النهاية التي يريدها ؟ هل يجعل السيد عيسى ينجح في صراعه لتحقيق الهدف ؟ واذا نجح ، هل سيشعر بالسعادة عندما تحاول خطيبته السابقة أن تعود اليه ، مضحية بزوجها العجوز ؟ هل يفشل في صراعه وتنهار نفسه ويفقد الايمان

بالقيم والمبادىء ؟ هل يسخر من أوهامه ويتزوج فتاة ترضى أن تعيش في حدود راتبه ؟

كل هذه نهايات أو حلول يمكن أن يصل اليها الكاتب عن طريق الحركة الناشئة عن الصراع .

ولكن المهم في هذا المثل أن الكاتب يستطيع ، بالتفكير والخيال المنطقي وقوة التصوّر أن يطوّر هذا المأزق الى نوع من الصراع والحركة والنتيجة التي تتكون منها دعائم الهيكل للقصة القصيرة .

وفي معظم الأحيان ، يستطيع الكاتب أن يلتقط من هذه العملية التركيبية أو التطويرية ، بذورا لموضوعات جديدة تختلف تماما عن الأصل المتفرعة منه . وكذلك يستطيع الكاتب أن يصوغ قصة أو يجعل فيها الفتاة هذه المرة ، هي صاحبة المشكلة . ويمكن أن تكون الأم هي التي تواجه مشكلة الخطيب المحدود الدخل الذي يحب ابنتها ويريد الزواج منها . ويمكن أن يكون الوالد ، أو زوجة الأب أو العم الوصي عليها .

ومن ناحية ثالثة يمكنه أن يصوغها من وجهة نظر :

أم السيد عيسى .

والد السيد عيسى .

الأخ الأكبر للسيد عيسى .

وعلى هذا النحو نجد أمامنا مشكلة واحدة من مشكلات السيد عيسى يمكن أن يتناولها الكاتب من عشر زوايا مختلفة . فاذا ضربنا هذه الزوايا العشر في عشرات الموضوعات التي نبتت بذورها من تطوير هذه المشكلة ، وجدنا أمامنا مئات ومئات من القصص المختلفة النابعة من مشكلة واحدة .

ولعل هذا أيضا يؤكد لنا ان معين الموضوعات القصصية لا ينضب أمام القدرة العقلية على التصوّر والتحليل .

ومن الملاحظ أن العنصر الأساسي في تطوير الموضوع الى مشكلة أو مأزق هو عنصر التشويق والترقب واللهفة الى معرفة ما سيفعله السيد عيسى في أية حالة من هذه الحالات . وينطوي تحت عنصر التشويق عوامل كثيرة ، منها : الغموض ، والابهام ، والألغاز والسريّة والتناقض وما الى غير ذلك من مختلف الاصطلاحات المتفرعة في الكلمة الأصلية ، واللازمة لتطوير آلاف الموضوعات الى قصص .

ولكن اختيار المأزق أو المشكلة لا يكفي ، لأن بعض المشكلات كثيرا ما تخلو من العنصر الدرامي ، أو الموقف الدرامي . والموقف الدرامي في الواقع هو روح القصة وهو الذي سيحدد ما اذا كان الكاتب يصوغ قصة فنية أو يكتب خبرا مطوّلا ، أو صورة انشائية . والمجال هنا لا يتسع للاسهاب في شرح الدراما ، ولكن يكفي أن نضرب المثل على الموقف الدرامي والموقف غير الدرامي ، وهذا وحده يتيح للكاتب المبتدىء الفرصة ليعرف الفرق بين الاثنين :

رجل دخل بيته فوجد جهاز الراديو معطلا لسبب ما . أو عرف من زوجته أن امها جاءت من السفر . أو علم ان الطباخ ترك الخدمة غاضبا . هذه كلها مواقف غير درامية . اما اذا عاد الرجل نفسه الى بيته فوجد لصا يحاول أن يفتح درج مكتبه أو وجد جثة رجل غريب ملقاة على الأرض البيت ، أو فوجيء بالنار تندلع من باب المطبخ وزوجته تصرخ ، فهذه كلها مواقف درامية .

وبمعنى آخر ان مشكلة تعطل الراديو ، أو عودة الحماة من السفر ، أو ترك الطباخ للخدمة من المشكلات التي تحدث كل يوم ولكل انسان حتى فقدت كل عنصر درامي لها .

اما المشكلات الأخرى ، فهي المليئة بالعنصر الدرامي ، أي العنصر الذي يثير في النفس نوعا معينا من الصراع المؤدي الى سلوك أو تصرّف أو تفكير معيّن .

والمواقف الدرامية المتعارف عليها عشرة ، ولكن هذا لا يمنع من أن يتفرّع عن كل واحد منها مئات المواقف الأخرى . وهذه المواقف العشرة هي :

مواجهة خطر مادي .

عاطفة مكبوتة .

سوء فهم للموقف .

الطموح .

الانتقام .

الخوف .

الطمع .

الادعاء أو التظاهر .

الجريمة .

التضحية .

وينبغي الاعتراف ان بعض هذه المواقف يتوالد من البعض الآخر ، أي ليس من الممكن فصلها عن بعضها بخطوط محددة ، فمثلا الانتقام يمكن تفسيره بأنه صورة من ارضاء النفس ، أي لون من الطموح . وكذلك الجريمة فقد تتولد عن الخوف ، أو الطموح وربما الحب أيضا ... وهكذا .

واذا قلنا ان الدراما هي روح القصة ، فاننا نقول ان الصراع هو روح الدراما . ولكن ما هو الصراع ؟

ان له في الدراما معنى خاصا غير المعنى الشائع ، أي مجرد اشتباك اثنين أو أكثر في معركة صغيرة أو كبيرة .

حقًا لا بدّ للصراع من قوّتين متعارضتين ولكن ليس من الضروري أن تكون هذه القوى ماديّة . فهناك صراع يحدث حينما يواجه الانسان ظروفا معاكسة . وهناك صراع يحدث حينما يعارض الضمير في تحقيق احدى الرغبات . وعلى هذا يمكن القول ، بوجه عام ، انه كلما توافرت أنواع الصراع الثلاثة « المادي ، والاخلاقي والظروف المعاكسة » كان حظها من النجاح أكبر .

ولكن هذا التوافر ليس شرطا أساسيا ، لأنه ليس هناك أسخف من القصة التي يحاول الكاتب أن يقحم فيها نوعا من الصراع لا تحتمله ، ولهذا فاذا كانت القصة تبلغ غايتها بصراع بين الشخصيات ، أو بصراع ضد الظروف المعاكسة ، فلا حاجة الى أن يحاول الكاتب أن يقحم فيها صراعا آخر .

والآن نجد أمامنا ثلاثة أنواع من الصراع :

صراع ضد الظروف .

صراع بين الشخصيات .

صراع داخل الشخصية ، « نفسي أو ذهني » .

والصورة العملية للصراع ، هي التصرف أو الحركة . فالانسان عندما يحاول أن يحل مشكلة أو يخرج من مأزق ، فلا بد له من أن يتصرف بدنيا أو عقليا .

وبعد أن طوّرنا الموضوع الى عقدة أو مشكلة أو مأزق ، ومنه الى الدراما أو الصراع لم يبق أمامنا الا الحل أو النتيجة أو النهاية .

ونكتفي هنا بتقديم هذه الملاحظات السريعة :

حاول أن تجعل النهاية مفاجئة للقارىء بقدر الامكان . ولكن حذار أن تجعلها غير معقولة أو خارجة عن سياق القصة .

عندما تبلغ القصة ذروة الصراع ، أسرع بالنهاية بقدر الامكان . فاذا بلغتها ، توقف عن الكتابة فورا . ولا تحاول أن تجعل للنهاية ذيلا تافها .

تذكّر تماما ان القصّة كلها قد تتوقف على الجملة الأخيرة التي تنتهي بها .

اقرأ قصص كبار الكتاب العالميين ولاحظ كيف يختتمون نهايات قصصهم .

ملحمة عربية إسلامية

الحجّ

بقلم الدكتور زكي المحاسني

زارني المحبوبُ في وجدي وبعدي ... دونما حزن ولا لوم وصدّ
وليالي حبه موشكةٌ ... بلقاء منه في مَطْلٍ ووعد
بتُّ في الأحلام أروي وجهه ... وأداري وصله جفنا بسهد
حلم يقظانَ به مسّ الهوى ... يتنزى شغفا في طيّ زُهد
يبتني الآمالَ في معسولها ... ويحُفّ الخاطرَ الشادي بشهد
ويحَ أيام على تذكارها ... وثبَ العمرُ وما فات التهدّي
قلت للآلامِ لا تنبعثي ... واسكُني في التّربِ في ظُلمةِ لحد
فلذاذاتُ التقى وقادة ... يملأ الروح هُداها بالتصدّي
أين ركبي ؟ جملٌ أو فرسٌ ... قافلاتٌ سبقتني نحو وِردي
ومشى العكّامُ في مطلعها ... يسحبُ المقْودَ في شوقٍ وجهد
وعليها هودجٌ في ظاعن ... هزه التطريبُ في هِزّةِ مهد
جُعلتْ أجرُ المشقّات وكم ... كان فيها الأجرُ في صورة مُهدي
وأظلتنا حضارات بها ... سَفرةُ الجو بِساطَ الريح تُبدي
أين منها الركبُ في وعثائه ... وصحاريه وما يضني ويُعدي
جال بي من جانبي خِلّ الوفا ... بحديث يُشتهى في حُلوِ سردِ
واذا (جُدّةُ) لاحت في الدّنى ... فهبطنا عندها في هَوْنِ قصد
نحن حجاجٌ لبيت الله جئنا ... نبتغي (مكةَ) في شوقٍ معَدّ
هذه (بَكّةُ) في داراتها ... الأمنُ لا ترمى بقبحٍ أو تعدي
وعليها زُمْرَةٌ في زُمَرَة ... حشدُ آلاف وما تُحصى بعدّ
في نساء ورجال أقبلوا ... بحجيج بحرُه يطْمي بِمد
هتف الطّوافُ هُبّوا اعتمروا ... فاعتمرنا وارتدينا خير بُرد
واستوينا في لَبُوسٍ واحدٍ ... مَزَجَ الدينُ بنا فرداً بفرد
لستَ تدري مَنْ أميرٌ باذخ ... وفقيرٌ في غمارٍ مِلءَ حشد
متساوون أمام الله خلْقا ... قد أطافوا في لُبانات وجِدّ
غَصّ فيهم يومَ تسبيحِ العُلى ... حَرَمٌ في مسجد غَصّ بوجد
يا لها وضّاحةَ الدّينِ بدُنيا ... أقبلت عابدةً في حُرّ عبد
فأطفنا سبعةَ الأشواطِ حثّا ... ووردنا (زمزما) بالريّ يسدي
ورأينا (كعبةَ) الله تجلّت ... بحُلاها بِنْيَةً تُحيي وتُجدي
وركبنا رحلةً شيّقة ... نحو صحراء تلقتنا بودّ
(عرفاتُ) قد عرفنا عندها ... موئلَ العُرْب وذكرى مِنْ معَدّ
يا خياماً وقِباباً ملأتْ ... في مدى الأبصار بيداءَ بجُرْدِ
هي كالموج ببحرٍ طاحمٍ ... وهْيَ أعجوبةُ تصويرٍ بِضِد
ثم ضمتنا (منى) وهْيَ المنى ... عند أيام وكنا ضِمْنَ وفد
ورجمْنا في المَسْا ابْليسنا ... يا لجمرات تواقعن بِشَدّ
ثم عدنا غُسلَتْ أرواحنا ... من ذنوب جنبتنا شرّ وأد
ذاكَ حجّ الفردِ في مسطاعه ... حيث يستوفي عبادات بقَصْد
ولَعَمْرُ الله كان الحجّ أندى ... تنضوي فيه الجماعاتُ بعَهْد
هو للاسلام والعرب مُثارٌ ... لوئامٍ واتحادٍ دون حد

مركز الدراسات التكميلية في الرياض



الواجهة الأمامية لمركز الدراسات التكميلية في الرياض .

الطالب الذي يود الالتحاق بدار المعلمين حاليا لا يمكن قبوله فيها ما لم يكن من حملة شهادة الكفاءة . وفي دار المعلمين ، يدرس الطالب ثلاث سنوات ، يتخرج بعدها حاملا شهادة تعادل بمستواها « التوجيهية » ، التي تجعل منه معلما أهلا لتدريس طلاب المرحلة الابتدائية . فيعين اذ ذاك مدرسا في احدى المدارس الابتدائية الرسمية .

لكن الحال في الماضي كانت تختلف عما هي عليه الآن ، اذ كان الطالب يقبل في دار المعلمين بمجرد انهائه مرحلة الدراسة الابتدائية ويتخرج فيها بشهادة قد تبلغ في مستواها مستوى شهادة الكفاءة . وهكذا نشأت مشكلة التفاوت بين خريجي دار المعلمين الأوائل ، وبين خريجيها الحاليين . ودفعا لمثل هذه المشكلة وعملا على جعل المعلمين القدامى في مستوى يعادل مستوى الخريجين الجدد من حيث الكفاءة العلمية أنشأت وزارة المعارف معهدا خاصا في الرياض ، اطلق عليه اسم « مركز الدراسات التكميلية ، » وأسندت اليه مهمة اعطاء دورات تدريبية ، مدتها سنتان ، لمعلمي المدارس الابتدائية القدامى .

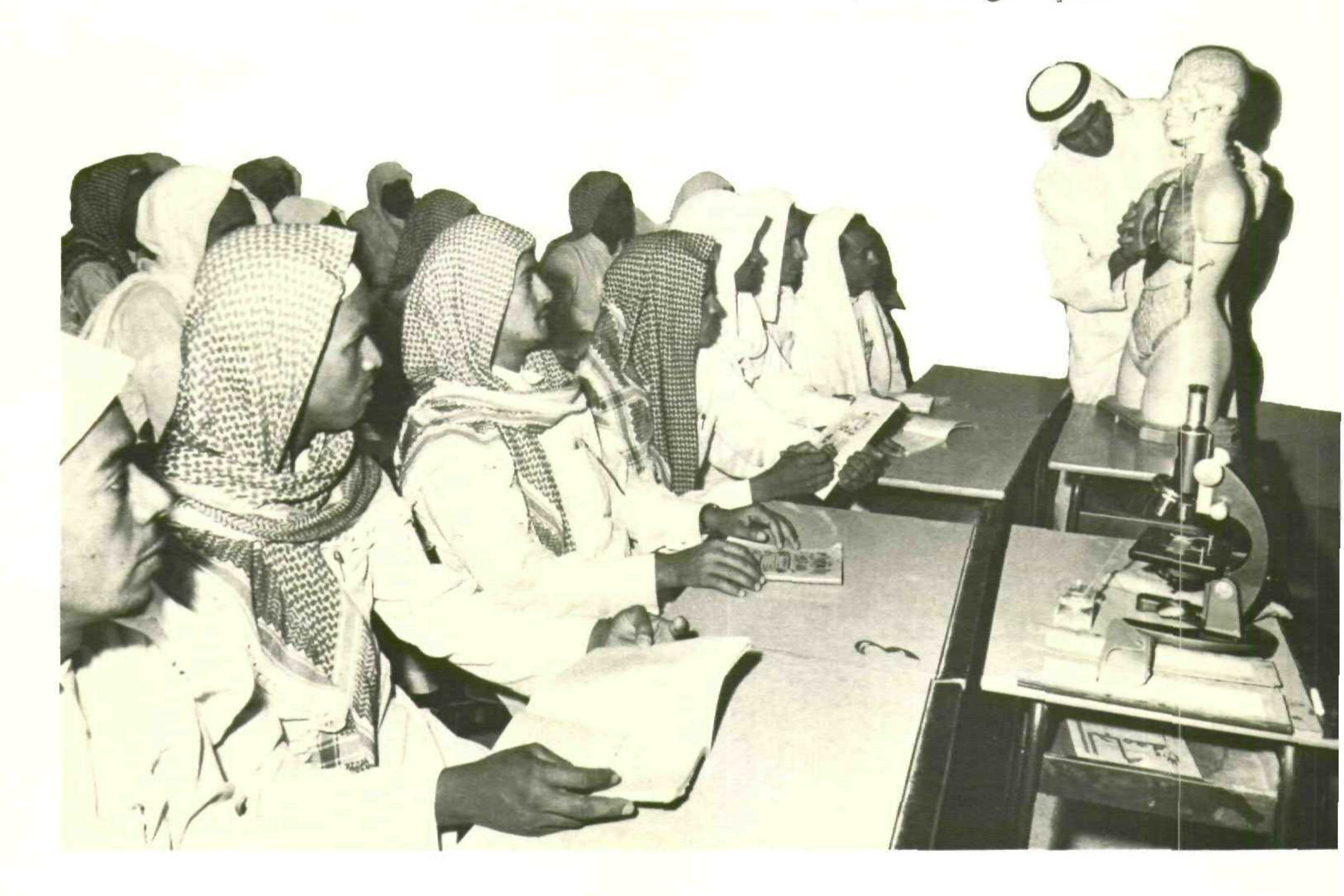
اختيار الطلاب والتدريب

يشترط في الطالب الذي يقع عليه الاختيار للالتحاق بمركز الدراسات التكميلية ، أن يكون من خريجي دار المعلمين القدامى ، كما ذكرنا آنفا ، على أن يؤخذ بعين الاعتبار أقدمية التخرج . ويجري اختيار الطلاب عادة من بين معلمي المدارس الابتدائية في كل من الرياض ، والمنطقة الشرقية ، والسدير ، والوشم ، والقصيم ، وعنيزة ، وحائل ، والحوطة ، والحريق ، ووادي الدواسر ، ويقوم بترشيحهم مدراء التعليم . ويتقاضى المدرس الذي جرى اختياره راتبه كاملا اثناء فترة التدريب ، يضاف الى ذلك ما يعادل نصف الراتب كتغطية للمصاريف .

أسس مركز الدراسات التكميلية في الرياض خلال عام ١٣٨٥ هـ ، وبوشر التدريب فيه في شهر رجب من العام نفسه بـ ٣٠٠ طالب . وفي العام المنصرم تخرجت أول دفعة من طلاب المركز . ويحق لخريجي المركز الالتحاق بكلية التربية . وفي المعهد عشرون فصلا يشرف عليها ٤٥ مدرسا جامعيا وبعضهم من حملة الماجستير والدكتوراة ، وهم موزعون على الفصول حسب حقول اختصاصهم .

اما المواد التي يدرسها الطلاب خلال هاتين السنتين فهي : الدين ، واللغة العربية ، واللغة الانكليزية ، والرياضيات ، والعلوم ، والاجتماعيات ، والتربية ، وعلم النفس ، والتربية النظرية ، والمكتبة ، والادارة المدرسية ، والتربية الرياضية ، والتربية الفنية ، بالاضافة الى دروس نظرية عن كيفية التدريس .

درس في التشريح وكيفية استخدام المجهر . تصوير عبد اللطيف يوسف



المدرسة النموذجية

ولتطبيق الدروس النظرية عن كيفية التدريس، يجري حاليا بناء مدرسة تطبيقية نموذجية لالحاقها بالمركز . وستكون هذه المدرسة ابتدائية عادية ، ويدرس فيها برنامج المدارس الابتدائية نفسه ، ويتدرب فيها طلاب المركز على الطرق الصحيحة للتدريس باشراف نخبة من الأساتذة من ذوي الخبرة الطويلة في حقل التعليم ، ومن حملة الشهادات الجامعيــة .

مرافق المركز

يحتوي المركز ، بالاضافة الى فصوله العشرين السالفة الذكر ، على مكاتب للمدير والموظفين الاداريين ، وغرفة للهيئة التدريسية ، ومكتبة تضم حوالي ٢٥٠٠ مرجع ومؤلف . كما يحتوي على مختبرين للطبيعيات والكيمياء مزودين بالأدوات والمعدات التي تسمح للطلاب باجراء التجارب المقررة ، وقاعــة للمحاضرات تتسع لحوالي ٤٠٠ شخص ، وهي مصممة بحيث يمكن استخدامها لعرض الأفلام العلمية والثقافية ، ومقصف تعاوني للطلاب ، وقاعة لكرة الطاولة وألعاب القوى .

نشاط الطلاب

يولي مركز الدراسات التكميلية الناحيــة الاجتماعية اهتماما كبيرا اذ شجع الطلاب على الانخراط في الجمعيات المدرسية المختلفة ، والمشاركة في كثير من الأعمال الاجتماعية . فطلاب جمعية الاذاعة مثلا ، لديهم في المركز اذاعة مصغرة ، يقدمون منها برامــج تثقيفية وترفيهية وتمثيلية وفنية متنوعة ، وطلاب الجمعية التعاونية يختصون باعداد لوازم الرحلات وتأمين حاجات المقصف ورصد مبيعاته . وطلاب جمعية الرحلات يهتمون بتنظيم الرحلات والعمل على انجاحها . وطلاب جمعية الخطابة يعملون على اعداد محاضرات ثقافية يقدمها بعض المربين وعلى اعداد حفلات خطابية تقدم للفائزين فيها جوائز تشجيعية . وطلاب جمعية الصحافة يصدرون نشرات حائطية أسبوعية وشهريــة ونصف شهرية . أما طلاب الجمعية الرياضية فيعنون بتشجيع الرياضة بين صفوف الطلاب واقامة المباريات الودية . ونتيجة لهذا النشاط ظهرت بين الطلاب فرق لكرة السلة ، وكرة القدم ، والكرة الطائرة الى جانب ظهور لاعبين يجيدون ألعاب التنس ، وكرة الطاولة وبعض ألعاب القــوى .

هذا هو مركز الدراسات التكميلية ، الذي برز الى الوجود منذ ثلاث سنوات ليؤمن لمعلمي المدارس الابتدائية المزيد من الثقافة والمعرفة ، ويجعلهم أكثر قدرة على تأدية رسالتهم التعليمية .

ع . ع

مع البحّاثة الأديب الأستاذ حمد الجاسر

أجرت قافلة الزيت هذه المقابلة الشيقة مع البحاثة والأديب الكبير الاستاذ حمد الجاسر تطرقت فيها الى أعمال المجامع العربية في القاهرة وبغداد ودمشق ، والى نسبة الشعر الجاهلي الى النحل أو تبرئته منه ، والى جدوى تحقيق التراث العربي .. وما الى ذلك من أمور تهم الفكر والأدب .

— **يختلف الناس في جدوى المجامع اللغوية اختلافا بينا ، ويذهب بعضهم الى القول بأن ما ينفق عليها من مال يذهب في غير طائل ، وبما أنك عضو في أكثر من مجمع لغوي ، فهل نستطيع أن نسألك عن الفائدة التي تجنيها اللغة العربية من هذه المجامع ؟**

○ احب تصحيح خطأ يقع فيه كثير من الكتاب والأدباء حينما يتكلمون عن المجامع اللغوية ، فلا يفرقون بينها وبين المجامع الأخرى ، وقد كان في نص السؤال ما يشعر بذلك من (اني عضو في اكثر من مجمع لغوي) والواقع ان البلاد العربية كلها لا يوجد فيها سوى مجمع واحد للغة العربية هو « مجمع اللغة العربية في القاهرة » . وفي هذا المجمع علماء مختصون من اكثر البلاد العربية . وهناك مجامع أخرى من أشهرها وأقدمها « المجمع العلمي العربي بدمشق » ، وقد غير اسمه فيما بعد ، فجعل « مجمع اللغة العربية بدمشق » ، ليتحد عمله مع مجمع القاهرة ويصبحان مجمعا واحدا . ويوجد في بغداد « المجمع العلمي العراقي » . والمجمعان الآخران يعنيان أكثر ما يعنيان بتاريخ العرب وآدابهم ، بتحقيق النصوص القديمة التي لم تنشر ، ونشرها ، والتعريف بما للعرب من جهود في مجالات الفكر العامة . ويعنى كل مجمع من المجمعين المذكورين أول ما يعنى بالمؤلفات التي لها صلة ببلاده ، فيجمعها من مختلف المكتبات بطريقة التصوير أو الشراء ، ويحرص على نشر الجيد منها مما يتعلق بأدب تلك البلاد أو تاريخها أو جغرافيتها أو ما له أية صلة بناحية من نواحيها العامة أو الخاصة .

وقد قام مجمع دمشق بطبع عشرات الكتب مما يتعلق بالأمة العربية بصفة عامة ، أو بتاريخ الشام وأدبه بصفة خاصة . ويعتبر مجمع دمشق أنشط المجامع الثلاثة وأكثرها انتاجا ، فقد أصدر من مجلته ثلاثة وأربعين مجلدا ، تضم طائفة من أجود ما كتبه الباحثون العرب وبعض المستشرقين مما يتصل بالتراث العربي الفكري . وشرع منذ أكثر من عشر سنوات بنشر كتاب « تاريخ دمشق » لحافظ بن عساكر الذي يبلغ عشرات المجلدات ، والذي هو في الحقيقة تاريخ للاسلام ، لأنه يؤرخ لكل من دخل دمشق من أهلها ومن غيرهم ، ودمشق كانت عاصمة الخلافة يوما ما ، وندر الا يدخلها رجل من المشاهير في ذلك العهد ، وفي غيره من مختلف العهود . وخاصة العلماء . وهذا المجمع له مجلس يتكون أعضاؤه من أهل الشام أنفسهم وهو دائم النشاط ، ويعتبر هيئة رسمية تقوم بعملها في كل وقت ، وله أعضاء مراسلون من البلاد العربية ومن كبار العلماء في مختلف البلاد الشرقية والغربية .

وقد يماثله مجمع بغداد في الأهداف والأعمال ، الا أنه أحدث منه ، ومع ذلك قام بنشر طائفة من الكتب القيمة ، أهمها ما يتعلق بالعراق ، وأعان على نشر كتب أخرى من هذا القبيل ، وأصدر مجلة حافلة بالأبحاث العربية ، صدر منها أربعة عشر مجلدا .

وهذان المجمعان كما تقدم آنفا ، لا يختصان باللغة العربية وأبحاثها بل يشمل عملهما كل ما له صلة بتاريخ الأمة العربية وتراثها الفكري ، بصفة عامة .

أما مجمع اللغة العربية في القاهرة فهو على قدمه يكاد يكون مغمور النشاط ، مع ما قام به في المجال اللغوي من وضع كثير من المسميات لأشياء حديثة ، ولكثير من القواعد اللغوية التي قصد بها تسهيل اللغة ، تسهيلا يعين على تطورها وبقائها ، مما يتفق مع قواعدها القديمة . وقد نشر كثيرا من مقرراته في مجلته التي صدر منها قرابة ١٧ مجلدا ، وفي كتيبات خاصة مبوبة ، تشتمل على المصطلحات اللغوية لكل ناحية من نواحي الحياة الحديثة ، بالاضافة الى عدد من المعجمات اللغوية ، من أشهرها معجم « ألفاظ القرآن الكريم » وقد صدر منه ثلاثة اجزاء ، و « المعجم الوسيط » وهو معجم شامل لكثير من المفردات اللغوية ، وضعه بعض أعضاء المجمع ، وان لم يكن كل ما فيه مما وافق عليه المجمع ، ولهذا لا يصح نسبة كل ذلك الى المجمع ، والى أنه من وضعه وموافقته .

وشرع هذا المجمع منذ بضع سنوات في وضع معجم دعاه « المعجم الكبير » لمحاولة حصر الكلمات اللغوية حصرا قائما على أساس التطور اللغوي للغة من أقدم عصورها . وهذا المعجم وان كان لا يزال في طور الدراسة والتجربة ، فقد صدر منه مجلد ضخم ، الغاية منه اطلاع المعنيين بالدراسات اللغوية لبيان آرائهم حول ما جاء فيه . ولهذا المعجم لجنة دائمة في مجلس المجمع في القاهرة ، تقوم باحضار المواد ودراستها ، وبعد أن يوافق عليها المجلس تحال الى المؤتمر السنوي للمجمع الذي يشترك فيه جميع أعضاء المجمع من مصر وغيرها . وبعد اقرارها تضم الى المعجم وتنشر .

ان هذا المجمع ذو نشاط عظيم في المجال اللغوي ، ولكن ذلك النشاط يوشك بأن لا يتعدى ذلك المجال ، ولعل من أسباب ذلك ضيق دائرة نشر ابحاثه ، وحصرها لدى المعنيين بهذه الناحية . ومن هنا نشأ لدى كثير من الكتاب

والأدباء الاعتقاد بأن أثر المجامع اللغوية عديم الجدوى .

ومن الغريب أن بعض المستشرقين يعرفون عن هذا المجمع أكثر مما يعرفه الكتاب العرب أنفسهم عنه ، ومع أن هذا المجمع يضم الصفوة الممتازة من أدباء العربية وكتابها في العصر الحاضر ، كالدكتور طه حسين ، رئيس المجمع ، وتوفيق الحكيم ، والزيات ، وعزيز أباظه ، وفي الماضي العقاد ، والمازني وكرد علي ، والمغربي من أدباء العرب وعلمائهم ، مع انه يضم تلك الصفوة الممتازة ، الا أن ادباء الجيل لم يتأثروا بآثار أولئك من الوجهة اللغوية .

ان أية أمة من الأمم لا تتمكن من الحفاظ على كيانها ووحدتها ما لم يكن لها مميزات خاصة ، وما لم تكن تلك المميزات على درجة من القوة تكفل لها البقاء ، واللغة هي أقوى مميز لأية أمة من الأمم ، ومتى زالت زالت الأمة وانماعت في غيرهـــا .

والأمة العربية أمة لها رسالتها في الحياة ، وهي رسالة ليست بحاجة الى ايضاح ، ولها آثارها العظيمة في حياة هذا العالم ماضيه وحاضره .

والحضارة العربية ، مهما قيل فيها ، هي جزء متمم للحضارة العالمية التي أسهمت فيها كل أمة من الأمم بالقدر الذي يتلاءم مع قوة تلك الأمة ، وهذا أمر يدرك بالبداهة . وقوام تلك الحضارة هي اللغة نفسها ، التي حفظت لنا ذلك التراث الخالد الذي كان ذا معين ثرّ صاف كان المورد الوحيد في العالم أجمع حينما كان الغرب يتخبط في دياجير الجهل والتأخر . ولئن كان تيار الحضارة الحديثة في عصرنا الحاضر من القوة والطغيان بحيث أتى على كل ما تقدمه من مختلف الحضارات ، فهناك أمر يجب ألا يغرب عن البال ، وهو أننا أمة يجب أن تبقى ، وأن تحيا حياة كريمة ، وأن تسعى لتسهم مع بقية الأمم فيما يجعل الحياة العامة سعيدة وصالحة لكل من يستحق البقاء على ظهر هذه البسيطة . فهل يا ترى نستطيع ذلك ، اذا ماتت لغتنا واستعضنا عنها بلغة أخرى ؟!!

لا أعتقد أن عاقلا عربيا أو غير عربي يستطيع الحكم ببقائنا البقاء الصالح بدون لغة .

أما ما ينفق في سبيل الحفاظ على هذه اللغة ، فانه مهما بلغ لا يعتبر كبيرا أو كثيرا ، ذلك لأنه يتعلق بحياة الأمة نفسها ، وأي شيء يصرف في سبيل المحافظة على الحياة فانه يعتبر قليلا مهما بلغ . يضاف الى هذا أن ما يصرف على ذلك المجمع الوحيد يعتبر قليلا بل أقل من القليل ، بالنظر الى سمو الهدف ونبل الغاية .

وقد يقال : « ان أثر ذلك المجمع ضعيف او معدوم ، اذا أردنا أن نبالغ » . ولكن هذا لا يصح أن يتخذ أساسا للقول بعدم الحاجة الى المحافظة على اللغة ، بل يمكن أن يكون وسيلة للبحث في الطرق التي تجعل فائدة ذلك المجمع أو أي مجمع لغوي أعم وأشمل وأكمل . اذن فالأمر ينبغي ان يعالج من ناحية الوسيلة لا من أجل الغاية .

— تحدثت الصحف عن رحلة لك الى المدينة المنورة ، قمت بها سالكا نفس الطريق التي سلكها النبي (ص) في هجرته اليها ، وعلى ظهر ناقة كما فعل الرسول عليه السلام ، فكم استغرقت منك من الزمن ؟ وما هي انطباعاتك عنها ؟ وما الجديد الذي خرجتم به منها ؟ وهل تنوون الحديث عنها في كتاب أو بحث ؟

• تراثنا جزء من حياتنا ، والحفاظ على هذا التراث لا يتم ما لم تكن احاطتنا كاملة بمختلف أوجه ذلك التراث . وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن جانبها الروحي الكريم ، تعتبر أساسا من أسس تاريخ بلادنا . فإذا كان من واجب كل أمة العناية التامة بابراز حياتها الماضية لتقتبس منها ما قد يفيدها في مستقبلها ، ولتنأى عن جوانب النقص في تلك الحياة الماضية في مقتبل حياتها ، فإن العناية بتتبع كل ما له صلة بالسيرة الكريمة بالدراسة والبحث والتحقيق من الأمور الواجبة .

ولقد كنت أحس في نفسي وأنا أقرأ بعض ما جاء من أخبار غزوات الرسول عليه السلام ورحلاته وهجرته ، فأمرّ بذكر أسماء مواضع لا أفهم أين تقع ، أحس ألما وحزازة في النفس ، وامتعاضا شديدا من جراء ذلك الجهل .

فإذا كنت وأنا من أبناء هذه البلاد أجهل تلك المواضع الأثرية التي كان لها ولما وقع فيها من حوادث أعظم الأثر في تغيير وجهة حياة الأمة العربية بأسرها ، بل لا أكون مبالغا ، اذا قلت في تغيير حياة العالم كله ، اذا كنت وأنا بتلك الصفة ، أجهل ذلك ، ألا يعتبر نقصا لا بالنسبة اليّ بل بالنسبة الى كل مثقف من أبناء هذه البلاد ؟! هذا ما دفعني الى الرحلة التي أشرتم اليها .

ولقد كان لتلك الرحلة أثرها الكبير في نفسي ، لا لصلتها بالناحية المتقدم ذكرها ، بل لأنني اطلعت على أشياء كثيرة ، من أهمها مشاهدة جزء واسع من بلادنا يعيش أهله عيشة تختلف اختلافا عظيما عن عيشة انسان أمضى جل حياته في المدينة وفي رفاهيتها ونعيمها .

لقد سررت — وما أكثر ما سررت — بمشاهدة منظر قد لا ترتاح بعض النفوس لمرآه .

عندما أقبلت على بلدة « الأبواء » ، عرجت الى ناحية المدرسة ، وهي في بناء حديث حسن ، تلوح بياض جدرانها للناظر من بعد ، وهي في سفح جبل ، مطلة على واد واسع ، وفي هذا الوادي اشجار من الطلح ، وتحت هذه الأشجار عدد كثير من الحمير ، قد ربط كل حمار اما بقيده ، أو باحدى الشجر ، فاستغربت كثرة الحمير ، وسألت الرفيق عنها . فقال : « انها رواحل طلاب المدرسة ، يأتون أو يأتي كثير منهم من أمكنة يبعد بعضها عن المدرسة بضعة عشر كيلا ، ولكنهم يتحملون مشقة المجيء ، ويتحمل الفقير منهم ثمن راحلته ونفقتها حبا للعلم ، وسعيا وراء تحصيله . » ويبلغ الاستغراب نهايته عندما تعلم أن هؤلاء الطلاب هم أبناء أولئك العرب الذين كانوا قبل زمن ليس بالطويل ، لا يعيشون الا على ما ينالونه من الحجاج بحق ، وقد تدفعهم الحاجة الى أن يأخذوه بغير حق .

أما الآن فقد تطورت الحال ، وأصبح ذلك البدوي الذي يعيش في أغوار الأودية وشعاف الجبال يدرك أن هناك وسيلة كريمة للزرق ، انها وسيلة التعلم . ولهذا لا يستكثر أن يشتري لابنه حمارا قد يستدين ثمنه ، وان يصرف ذلك الابن ، وهو في حاجة الى خدمته ، يصرفه الى التعلم ، لعله يهيىء له من وسائل العيش ما هو خير مما هو فيه .

انني عندما قمت بتلك الرحلة ، شرعت في تحقيق كتاب يتعلق بتاريخ (طيبة) الطيبة . هذا الكتاب يضم قسما كبيرا في تحديد معالم تلك المدينة ، وايضاح المواضع التابعة لها ، وهو كتاب « المغانم المطابة في معالم طابة » للعالم اللغوي المعروف فيروز آبادي صاحب « القاموس المحيط في اللغة » ، فخرجت من تلك الرحلة بالفائدة التي كنت أتوخاها ، وخرجت بفوائد اخرى قد أتحدث عنها في رسالة خاصة .

وشيء مهم جدا ، أرى أن كثيرا من الكتاب بل كثيرا من الناس منصرفون عنه ، ذلك ان الحياة اذا بقيت على وتيرة واحدة أصبحت مملة ، وحياة المدن حياة ترف ونعومة ، وأثر ذلك في صحة المرء مدرك بالبداهة . والرياضة من أهم

وسائل الحفاظ على الصحة ، فكيف برياضة تغذي العقل والروح ، مع استيفائها لما يحتاجه الجسم من حركة وتغيير ؟! وحبذا لو انني استكملت تلك الرياضة ، كما صورها احد اخواني ، فامتطيت الجمل من مكة الى المدينة ، ولكن كرم اخي (ابي الخضر) — حيا الله ذكره — حال دون ذلك ، مع الحوائل الأخرى التي من أقواها القحط الذي أصيبت به تلك الجهات ، مما سبب هزال الابل ، بحيث لم استطع ايجاد راحلة تجتاز عقبة (الغابر) التي اجتازها المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام في هجرته الى المدينة .

— هل توافق الدارسين الذين يشكون في حقيقة الشعر الجاهلي ، وينسبونه الى النحـل والاختلاق أم تخالفهم ؟ وهل تعتقد في صحته جملة ، أم توافق على أن بعضه قـد تعرض للتقليد تارة ، والاختلاق تارة أخرى لأسباب متباينة ؟ وما هو رأيك عامة في هذا الموضوع ؟

• أما عن الشعر الجاهلي ودعوى الانتحال فيه ، فموضوع أشبعه النقاد درسا وتحليلا ، منذ عهد (حمّاد عجرد) الى زمن الدكتور طه حسين ، الذي ألف فيه كتابه « في الشعر الجاهلي » . ثم من بعد ذلك تناوله بعض الباحثين من جوانب لا تتجاوز الجوانب التي أشار اليها الدكتور طه حسين ومن قبله . الا أن جانبا واحدا في الموضوع ، لم أر من تصدى لدراسته ، وهو عميق الصلة بدعوى الانتحال في الشعر القديم ، ذلك هو صلة الشاعر بوطنه الذي يعيش فيه ، صلة تحمله على ذكر مواضع في ذلك الوطن كانت مرابع أنسه ، ومراتع صباه وسروره . من هذا الجانب يتضح أن طائفة كبيرة من الشعر القديم منحول ، فمثلا لو درسنا شعر عنترة العبسي ، ونحن نعرف مواضع بني عبس وبلادهم ، ثم طبقنا ما جاء في شعر عنترة على تلك المواضع ، لوجدنا أكثر الشعر يذكر مواضع كثيرة بعيدة عن بلاد عبس ، بل نجد أن مواضع هذه القبيلة لا ترد في الشعر المنسوب الى عنترة الا نـــادرا .

ولو قرأنا شعر زهير بن أبي سلمى المزني الجاهلي ، لوجدناه يزخر بأسماء مواضع هي من مواضع القبيلة التي عاش زهير في بلادها ، وهي بلاد بني عبد الله بن غطفان ، اخوال الشاعر الذين عاش بينهم . وقصة قد توضح هذا الرأي تلك قصة حماد عجرد التي بسببها وصم اختلاق الشعر واضافته الى شعراء متقدمين ، يروون ان الخليفة سأل (المفضل الصنبي) احد علماء الشعر في عهده ، كيف ابتدأ زهير قصيدته الرائية بقول : « دع ذا وعد القول في هرم » فماذا يقصد ؟ وهل للقصيدة من أول يتقدم هذا البيت ؟ فقال المسئول : لا . ولكن الشاعر يتخيل أنه يخاطب أحدا فيقول له هذا القول ، وهي سنة من سنن العرب في كلامهم ، الا أن الخليفة لم يقتنع بهذا الجواب ، فسأل حماد عجرد ، فقال : يا أمير المؤمنين ان للقصيدة أولا هو :

لمـــن الديار بقنّـة الحجر ؟
أقويـــن من حجج ومـــن دهر

ولكن الخليفة شك في جوابه شكاً دفعه الى التضييق عليه ، حتى اعترف بأن البيت من شعره ، فقرر الخليفة قراره المعروف عن حماد وعن اختلاقه للشعر .

ولو تعمق الدارس الفاحص في دراسة ذلك البيت لحكم بأنه مصنوع ، ليس من شعر زهير ، بدون أن يحتاج الى اعتراف حماد عجرد ، أو حكم الخليفة ، ذلك ان (الحجر) ليس من المواضع التي يذكرها زهير في شعره ، وهو بعيد عن منازل القوم الذين يعيش بينهم .

وقد يقال أن الشاعر — كالأعشى مثلا — رحّالة جوّالة ، يشاهد كثيرا من المواضع التي خارج بلاده ، وهذا صحيح ، ولكننا نجد الشاعر يذكر من المواضع ما تدعو المناسبة الى ذكره ، وقلّ أن يورد أسماء مواضع بدون مناسبة . وهذا القول ينطبق على الشعراء الاسلاميين ومن قبلهم ، أما من بعدهم ، فقد أصبح التغني بذكر المواضع الواردة في أشعار المتقدمين طريقة جديدة يرى الشعراء بالسير عليها نوعا من المحسنات اللفظية .

وبالاجمال ، فليس كل الشعر الجاهلي مصنوعا ، وليس كله صحيحا . ومن المستطاع التمييز بين النوعين بدراسة بيئة الشاعر ، وتاريخ حياته دراسة دقيقة . ولن يتسنى ذلك لمن يعيش خارج الجزيرة العربية ، موطن ذلك الشعر ، ولا لمن لم يتعمق بدراسة ذخائر الحياة العربية في عصور الشعر نفسه .

— يرى البعض أن تنصرف عن تحقيق التراث القديم ونشره ، والاستفادة من الجهد المبذول فيه في الترجمة من علوم الغرب المستحدثة فما تقولون في هذا الرأي ، وما هو نوع التراث الجدير بالاهتمام قبل سواه في رأيـكم ؟

• والسؤال الأخير في رأيي أشمل من الصيغة التي كتب بها ، ذلك أن العربي في عصرنا — أي عربي ينتسب الى هذه الأمة التي لها وجودها وكيانها — أصبح حائرا بين حياتين ، حياة تمتد جذورها عميقة الى الماضي ، وحياة ترتكز أسسها على مظاهر الحضارة الحديثة الغربية . فأي الحياتين أولى بأن يحيا هذا العربي ، اذا كان لا بد من أن يختار احداهما ويتخلى عن الثانية ، واذا كان له حق الاختيار في ذلك ؟!

ان هناك حياة أخرى غير هاتين الحياتين ، وهي حياة من الميسور الحصول عليها ، وقد تكون أسعد حالا وأحسن مآلا من كلتا الحياتين .

يوضح هذا أن الحياة العربية ، حياة روح وجسد ، فهي وان عنيت أكثر ما عنيت بالجانب الروحي ، لم تهمل الجانب الآخر ، بخلاف الحياة الحديثة ، حياة الآلة والجسد . وعلى هذا — والأمر لا يستدعي زيادة تفصيل ، والمقام مقام اجمال — فما على من يريد أن يحيا في هذه الدنيا حياة سعيدة الا أن يأخذ بأحسن جانب من جوانب الحياتين الروحية والمادية .

وعلى هذا يتضح الجواب عن العناية أو الانصراف الى تحقيق التراث القديم أو الاتجاه الى الترجمة عن الغرب مما له صلة بحياته الحاضرة .

ان من الخطأ أن ننصرف عن ماضينا انصرافا يحملنا على اهمال تراثه ، وفيه الخير كل الخير من جانبه الروحي ، جانب الاخلاق ، والسلوك ، وتنظيم العلاقات بين الافراد والجماعات .

ومن الخطأ أيضا أن نعيش ونحن في عالم أصبح وحدة متكاملة ، نعيش في معزل عن حياة هذا العالم ، ولو حاولنا ذلك لما استطعنا . واذن فلنعن بتراثنا العناية التي تمكننا من الاستفادة مما فيه صالح للاستفادة ، ولنتدرع بوسائل القوة في حياتنا الحاضرة ، بكل وسيلة تجعلنا نعيش أقوياء ، بين أمم تعتمد جل ما تعتمد على القوة ما وجدنا الى ذلك سبيـــلا .

لنعط كل ناحية من الناحيتين حقها المتلائم مع حاجتنا واستفادتنا ، وحذار من اهمال احدى الناحيتين ، معتقدين ان الاكتفاء باحداهما يكفل لنا الحياة التي يجب أن تحياها أمة لها هدف سام ، وغاية نبيلة في عالمنا المضطرب العاتي ، الذي لا رحمة فيه الا لمن رحم نفسه .. وهل يستطيع أحد أن يرحم نفسه وهو ضعيف ؟!

شطائر القافلة

استئذان

• المعروف أن القافلة – كما تقول معجمات اللغة العربية – هي الرفقة الكثيرة الراجعة من السفر أو المبتدئة به ، يكون معها دوابها وأمتعتها وزادها . و « القافلة » زادها الموفور من نتاج كتابها الأعلام . بيد أنني أود أن يأذن لي قراء « القافلة » في تقديم ما تيسر من الشطائر لهم . وكم من شطيرة تغني حيث لا يغني سواها ، وكم من كلمة موجزة تصادف من الصدور انشراحا ، ومن النفوس ارتياحا .

هذه الدرجات الجامعية

• هذه الدرجات الجامعية : معيد ، فمدرس ، فأستاذ مساعد ، فأستاذ ، فرئيس قسم ، وقد عرفها العرب منذ القرن السادس للهجرة . قال الأستاذ خليل طوطح في كتابه « التربية عند العرب » : ان المراكز العلمية في القرن السادس الهجري كانت لها رتبها التي اصطلحوا عليها وهي : « المعلم ، فالمؤدب ، فالمدرس ، فالمعيد ، فالشيخ ، فالأستاذ ، فالرحالة ، فالعالم ، فالأمام . »

درس في الاقتصاد

• سرد الجاحظ في كتابه المشهور « البخلاء » قصة امرأة بخيلة كانت تحسن الانتفاع حتى بالنفايات ، التي لا يأبه لها معظم الناس ، فقد ذبحت مرة خروفا فانتفعت بكل جزء منه على الوجه الآتي :

– الصوف جزته وغزلته خيوطا .
– والجلد دبغته لتفرشه في البيت .
– والقرنان رشقتهما في الحائط مشجبا لحمل الثياب .
– واللحم أحالته قديدا ، وشواء متبلا بالتوابل تلافيا للعفونة .
– والدهن أذابته ثم أودعته القدور .
– والعظام أعادت عرضها على النار أكثر من مرة ، حتى خرج منها دهن يكفيها أسابيع . وما تبقى من العظام بعد ذلك جعلته وقودا للتنور ، لأنه أصبر على الاحتراق من الحطب.

هذه الفكاهة التي أمتعنا بها الجاحظ هازلا ، نستطيع أن نأخذ منها درسا جديا في الاقتصاد والتدبير . وأعني بهذا الدرس وجوب الانتفاع بكل ما نملك من طاقات وموارد ، لأن كل شيء فيه منفعة أو منافع .

إعارة الكتب

سئل « اسكندر دوماس » يوما عن السر في رفضه اعارة أي كتاب من كتبه ؟ فأجاب : لأن من يستعيرها لن يردها الي . ولما قيل له : ومن أين عرفت أنه لن يردها اليك وأنت لم تعرها بعد ؟ أجاب بصراحة : لأنني أنا نفسي لا أرد الكتب التي أستعيرها .

ومن طرائف « مارك توين » أنه طلب الى أحد جيرانه أن يعيره بعض كتبه . فأجابه الجار : استعر ما تريد من كتبي لتقرأها ، ولكن على شرط أن تقرأها في بيتي لا في بيتك ، لأنني لا أطمئن مطلقا الى خروج أي كتاب من داري . وأسرها « مارك توين » في نفسه ، حتى دارت الأيام ، واذا هذا الجار يطلب اليه أن يعيره آلة قطع الأعشاب ليستعين بها على تنسيق حديقته ، فأجابه « مارك » بهدوء ولباقة : أنا على استعداد تام يا صديقي لأن أعيرك الآلة ولكن شرط أن تنتفع بها داخل حديقتي لأني لا أطمئن الى خروجها منها ، كما انك لا تطمئن الى خروج كتاب من مكتبتك .



من تراث العرب

المرء بآدابه الحسنة

ورد أن عبد الملك بن مروان استأذن على أمير المؤمنين معاوية في الدخول ، فأذن له ، ثم سلم عليه وجلس ، وبعد أن فرغ من حديثه ، قام وانصرف . فقال معاوية : ما أكمل أدب هذا الفتى ! فقال بعض الحاضرين : نعم يا أمير المؤمنين لقد أخذ بأخلاق أربعة ، وترك أخلاقا أربعة : أخذ بأحسن البشر اذا لقي ، وبأحسن الحديث اذا حدث ، وبأحسن الاستماع اذا حُدث ، وبأحسن الوفاء اذا وعد وترك مزح من لا يثق بعقله ، وترك مجالسة من لا يرجع الى الحق ، وترك مخالطة من لا أدب عنده ، وترك من القول والعمل كل ما يعتذر منه .

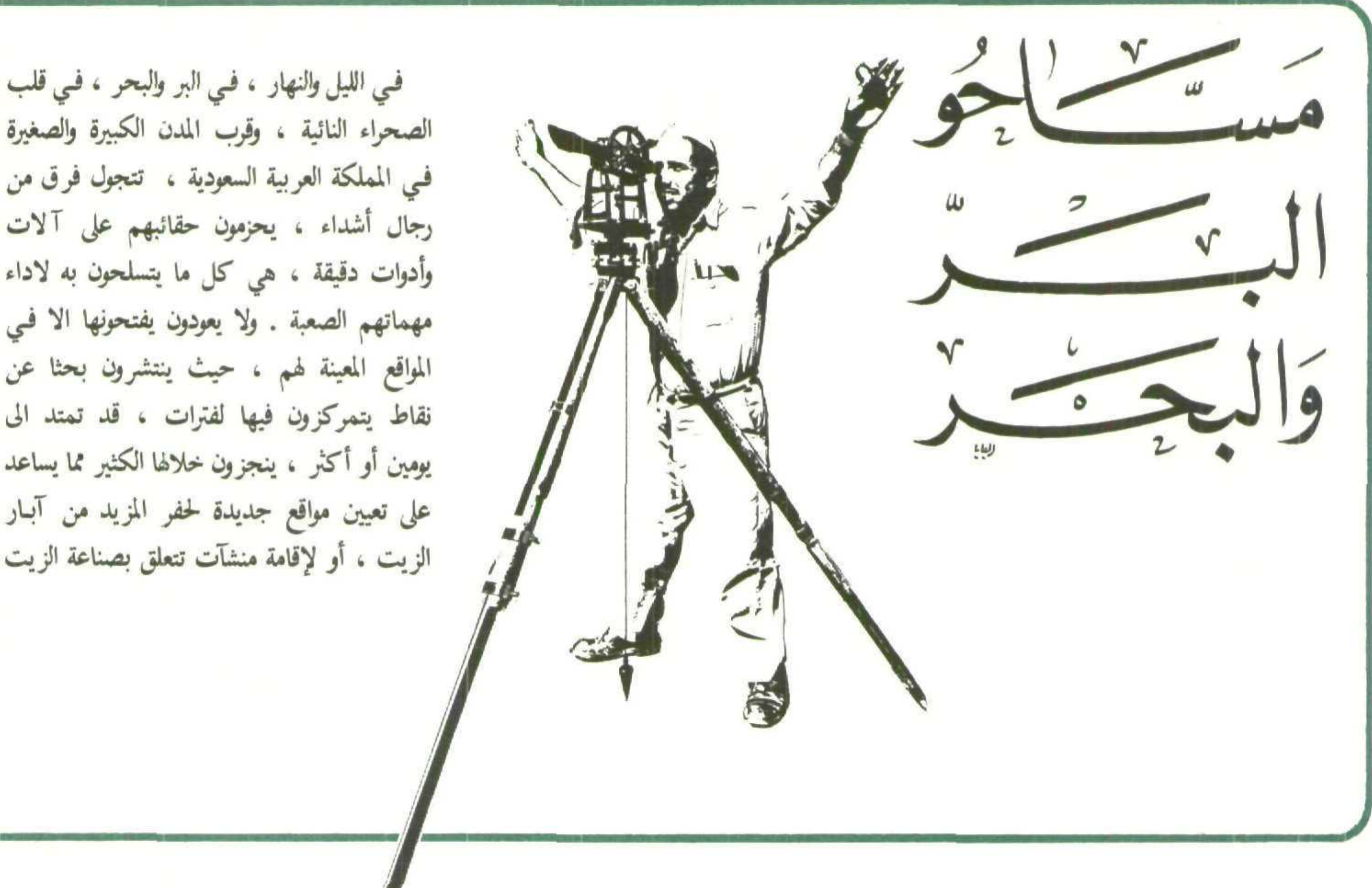
ان أنت جالست الرجال ذوي النهى
فاجلس اليهم بالكمال مؤدبا
واسمع حديثهم اذا هم حدثوا
واجعل حديثك ان نطقت مهذبا

فضل العقل

العقل هو قوة لطيفة دراكة ، أودعها الرؤف الرحمن في المرء ، بها يفرق بين الحق والباطل ، وبها يميز الخطأ من الصواب ، والعقل يميل بصاحبه الى الحسنات ، ودرء السيئات . ويعرض به عن رذائل الأعمال ، ويرغبه في ابتداء صنائع المعروف ، ويبعده عما يكسبه عارا ويورثه شنارا ! وقد قيل لبعض الحكماء بمَ يعرف عقل المرء ! فقال : بقلة سقطه في كلامه ، وكثرة اصابته ، فقيل : فان كان غائبا . فقال : بأحد شيئين : اما برسوله ، واما برسالته . فأما رسوله ، فهو قائم مقام نفسه ، وأما رسالته ، فتصف نطق لسانه وبها يعرف قدر عقله .

اذا أكمل الرحمن للمرء عقله
فقد كملت أخلاقه ومآربه

مساحو البر والبحر



في الليل والنهار ، في البر والبحر ، في قلب الصحراء النائية ، وقرب المدن الكبيرة والصغيرة في المملكة العربية السعودية ، تتجول فرق من رجال أشداء ، يحزمون حقائبهم على آلات وأدوات دقيقة ، هي كل ما يتسلحون به لاداء مهماتهم الصعبة . ولا يعودون يفتحونها الا في المواقع المعينة لهم ، حيث ينتشرون بحثا عن نقاط يتمركزون فيها لفترات ، قد تمتد الى يومين أو أكثر ، ينجزون خلالها الكثير مما يساعد على تعيين مواقع جديدة لحفر المزيد من آبار الزيت ، أو لإقامة منشآت تتعلق بصناعة الزيت

ماهي المساحة؟

المساحة هي تحديد جزء من سطح الأرض ، ووصف معالمه الهندسية بقياس أبعاده وايجاد مقادير الزوايا التي تحصرها ، بتطبيق مبادىء علم الهندسة والمثلثات ، وباستخدام مختلف أجهزة القياس ، كأجهزة قياس الزوايا ، والابعاد الأفقية والعمودية ، وأجهزة قياس قوة الموج وحركة المد والجزر وعمق مياه البحر وتحرك التيارات المائية ، وغيرها . ويعتمد في ذلك على النقاط الطبيعية الثابتة التي تقع على مقربة من الجزء المراد مسحه ، كقمم الجبال أو الصخور البارزة أو الجزر أو ما شابه ذلك .

وتجرى أعمال المسح لأغراض متعددة انشائية وصناعية وغيرها . فهي ضرورية في الحالات الانشائية لتحديد الأراضي التي ستقام عليها المنشآت ، ووصف سطوحها من حيث الارتفاع والانخفاض ، ووصف المرافق القريبة منها ، من طرق وخطوط للكهرباء والهاتف وأنابيب للمياه ، وتهيئتها لملائمة المنشآت التي ستقام عليها . وفي الحالات الصناعية ، تجرى أعمال المسح عند بناء المصانع أو توسعتها ، وعند مد خطوط الأنابيب أو بناء الموانيء أو فرض الشحن ، وعند نقل أجهزة الحفر ، وبناء معامل التكرير ، وتركيب المضخات ، وحفر الآبار وغير ذلك مما يتعلق بصناعة الزيت ، أو الصناعات الثقيلة الأخرى . كما أن أعمال المسح ضرورية لتحديد الأراضي واثبات ملكيتها ، لا سيما في حالات التعويض عما يتعرض منها للاستعمال العام الدائم أو المؤقت .

وشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) التي تعمل في رقعة واسعة من الأرض ، وفي مساحات كبيرة من المناطق المغمورة الواقعة ضمن مناطق الامتياز في الخليج العربي تحتاج ، بمقتضى طبيعة أعمالها ، الى القيام بأعمال مسح واسعة في البر والبحر ، لتكون على علم تام بطبيعة مناطقها ، ولتجري عملياتها الصناعية على أساس علمي واضح . لذلك يتنقل مساحوها في أماكن مختلفة من مناطق امتيازها قريبة وبعيدة ، مأهولة ومنعزلة.. تماما كالبدو الرّحل ، الا أن البدو يبحثون عن الماء والكلأ ، ويهتدون بالنجوم والمعالم الطبيعية المختلفة ، بينما يبحث هؤلاء عن مواقع معينة ليمسحوها ، مهتدين بالخرائط والآلات والأدوات الدقيقة ، وربما بالنجوم والمعالم الطبيعية أيضا .

مع المساحين في قلب البحر

سماء الخليج صافية ، والطقس معتدل ، والبحر هادىء ، وتنساب المركب « أبو سعفة-١ » مخلفة وراءها على صفحة البحر الزرقاء أثرا أبيض بيّنا ، والمساحون على متنها في استرخاء لذيذ . هذا يقرأ ، وذاك يتفقد الخرائط والبعض يغطّ في نوم عميق . الا القبطان ، فهو وراء عجلة القيادة تسمّر دائب ، وعينان تتطلعان عبر المدى . لا شيء الا الزرقة ، والا زمّج الماء ، ينقضّ بين الفينة والفينة على البساط الأزرق ، فيترك فيه رذاذا أبيض ، اذ يتناول ما قسم له من قوت ، ويعود يحلّق فوق المركب منضما الى سربه .

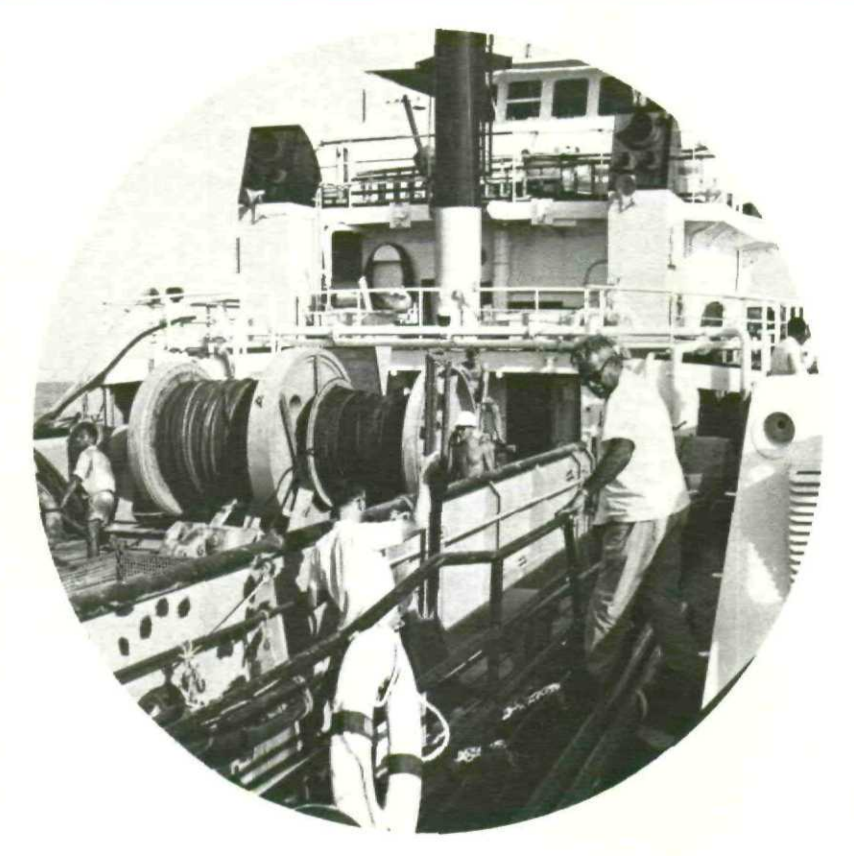
— « أربع ساعات ونصف الساعة ونصل » قال القبطان متطلعا الى المدى الأزرق .

وبدأت الشمس تجنح الى الغروب ناثرة عسجدها اللامع على صفحة البحر ، فبدا المكان

من قريب أو بعيد . ثم يحزمون حقائبهم متجهين الى موقع آخر ، لاداء مهمة مماثلة ، فموقع ثالث ، ورابع .. الخ . وعملهم الدائب هذا ، على صعوبته وعنائه ، عمل مثمر وممتع وفريد .

تلكم هي فرق المساحة التابعة لادارة الهندسة في الظهران ، والتي تقف وراء كل مشروع انشائي لشركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكو». تبدؤه بأعمال المسح الأولية ، وتعود اليه ثانية بعد انجازه لاجراء مسح نهائي له ترسم بموجبه خرائط تفصيلية دائمة للرجوع اليها عند صيانة مرافق المشروع ، أو توسعتها .

السادة عبد الرحمن الهندي ، وافتخار حسين خلجي ، وسليمان العفيجي أثناء تعيينهم أحد المواقع على الخريطة قبل تعيينه في موقعه على الأرض .



الباخرة « الليدي سيسلي » ، وتبدو مجهزة ببعض المعدات والأدوات الخاصة بأعمال المسح .

جميلا خلاّبا ، وفي لحظة استرسال مع الطبيعة الفاتنة ، أفاق رئيس المساحين من نومه ، وعلى سدّة المركب دار هذا الحديث :

* **الى أين نحن متجهون ؟**

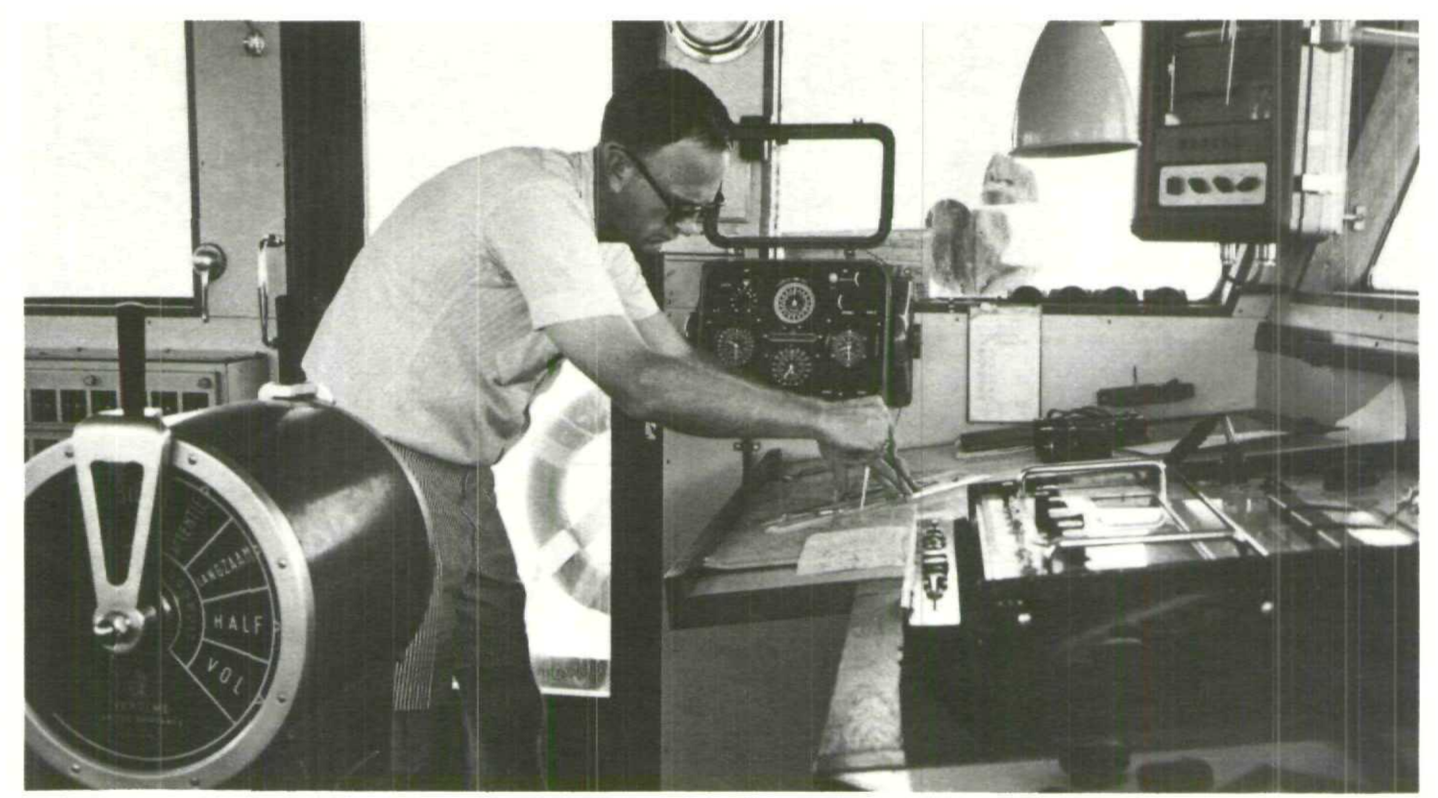
— الى منصة الحفر المتنقلة رقم — ٢ ، حيث سنقوم بتعيين موقع جديد لحفر بئر جديدة ، ومن ثم نقل المنصة اليه لتبدأ أعمال الحفر .

* **وهل لديكم فكرة مسبقة عن الموقع الجديد ؟**

— بالتأكيد . فقد أعلمتنا ادارة الحفر بمكانه نظريا بالنسبة لخطوط الطول والعرض ، وقام أخصائيونا في المكتب بتحديده على الخريطة ، وستكون مهمتنا تحديده في قلب البحر .

* **وكيف يتم لكم ذلك ؟**

— لدينا في جميع حقول الزيت نقاط معينة نسميها « نقاط الضبط المسحي » . وهي نقاط معلومة الموقع بالنسبة لنا على الخرائط ، وعلى الأرض ، أو في قلب البحر . فمثلا تقف منصة الحفر المتنقلة رقم — ٢ الآن في احدى هذه النقاط (نقطة « أ » في الشكل) ، وقد عين أخصائيونا موقع البئر الجديدة (ج) على الخريطة، بالنسبة للنقطة (أ) ونقطة ضبط أخرى



المستر «بل دوبز»، رئيس المساحين في أرامكو، في غرفة قيادة الباخرة أثناء عملية تعيين الموقع.

معلومة هي (ب). وبذلك أصبح لدينا على الخريطة مثلث معلوم الرؤوس (هو المثلث أب ج في الشكل) وهو معلوم الابعاد والزوايا كذلك، بينما لا نعرف من مشابهه في قلب البحر الا رأسين اثنين هما مكان منصة الحفر (أ) وموقع نقطة الضبط الأخرى (بَ)، ولذلك علينا أن نعين رأسه الثالث (جَ)، ليتم لنا تعيين موقع البئر الجديدة .. هدفنا الرئيسي من هذه المرحلة.

*** وكيف تفعلون ذلك؟**

— عندما نصل منصة الحفر في النطقة (أ)، نرصد منها نقطة الضبط (بَ)، ثم نعكس من المنصة بواسطة جهاز خاص زاوية بمقدار الزاوية (ب أ ج) المعلومة لدينا. ونعكس من نقطة الضبط (بَ) زاوية أخرى بمقدار الزاوية أب ج المعلومة أيضا، وتكون النقطة، (جَ) وهي نقطة التقاء الخطين الصادرين من المنصة ونقطة الضبط (بَ)، هي موقع البئر الجديدة، حيث نضع علامة مميزة نوجه المنصة اليها فيما بعد، لتبدأ أعمال الحفر. ومن الممكن أيضا أن نعكس من المنصة زاوية بمقدار الزاوية أب ج، ثم نأخذ على ضلعها أجَ بعدا بمقدار الخط أج، وتكون نهاية ذلك البعد، وهي النقطة (جَ)، مكان الموقع المطلوب.

*** وكيف تتأكدون من دقة عملكم هذا وصحته**

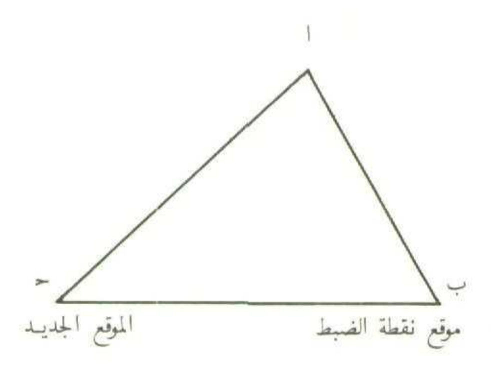
— لدينا الأجهزة اللازمة لذلك، فنحن نستطيع بعد تعيين الموقع (النقطة جَ) أن نقيس أضلاع المثلث أ بَ جَ وزواياه أيضا للتأكد من مطابقتها لأضلاع المثلث أ ب ج وزواياه.

*** هل هناك مهام أخرى تقومون بها في قلب البحر؟**

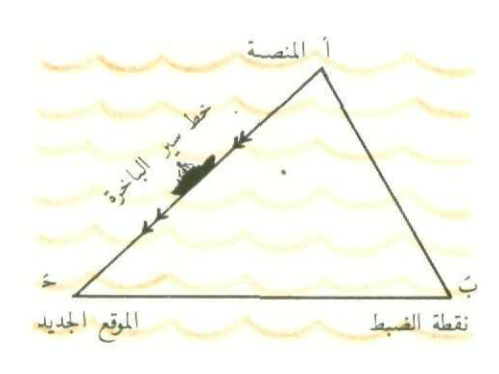
— نقوم برسم الخرائط الطبوغرافية، التي تجعلنا على علم بكل ما يحويه قاع البحر من معالم طبيعية، كما نقوم باعداد الخرائط الهيدروغرافية التي تبين عمق الماء في مختلف المناطق المغمورة التي تعمل فيها الشركة ضمن مناطق الامتياز. ونقوم أحيانا بمسح بعض الأماكن التي تمر فيها خطوط الأنابيب، أو ناقلات الزيت، وتحديدها. كما نقوم بتعيين نقاط ضبط جديدة، كلما لزم الأمر.

° ° °

عند ذلك، كانت المركب تقترب من منصة الحفر التي بدت وكأنها طود فولاذي يقوم في وسط البحر، فيأخذ العين بضخامته. وعلى مقربة منها كانت تقف باخرة متوسطة الحجم، هي «الليدي سيسلي»، الوسيلة الرئيسية لاتصال المنصة بالبر.



شكل «١» على الخريطة



شكل «٢» في قلب البحر

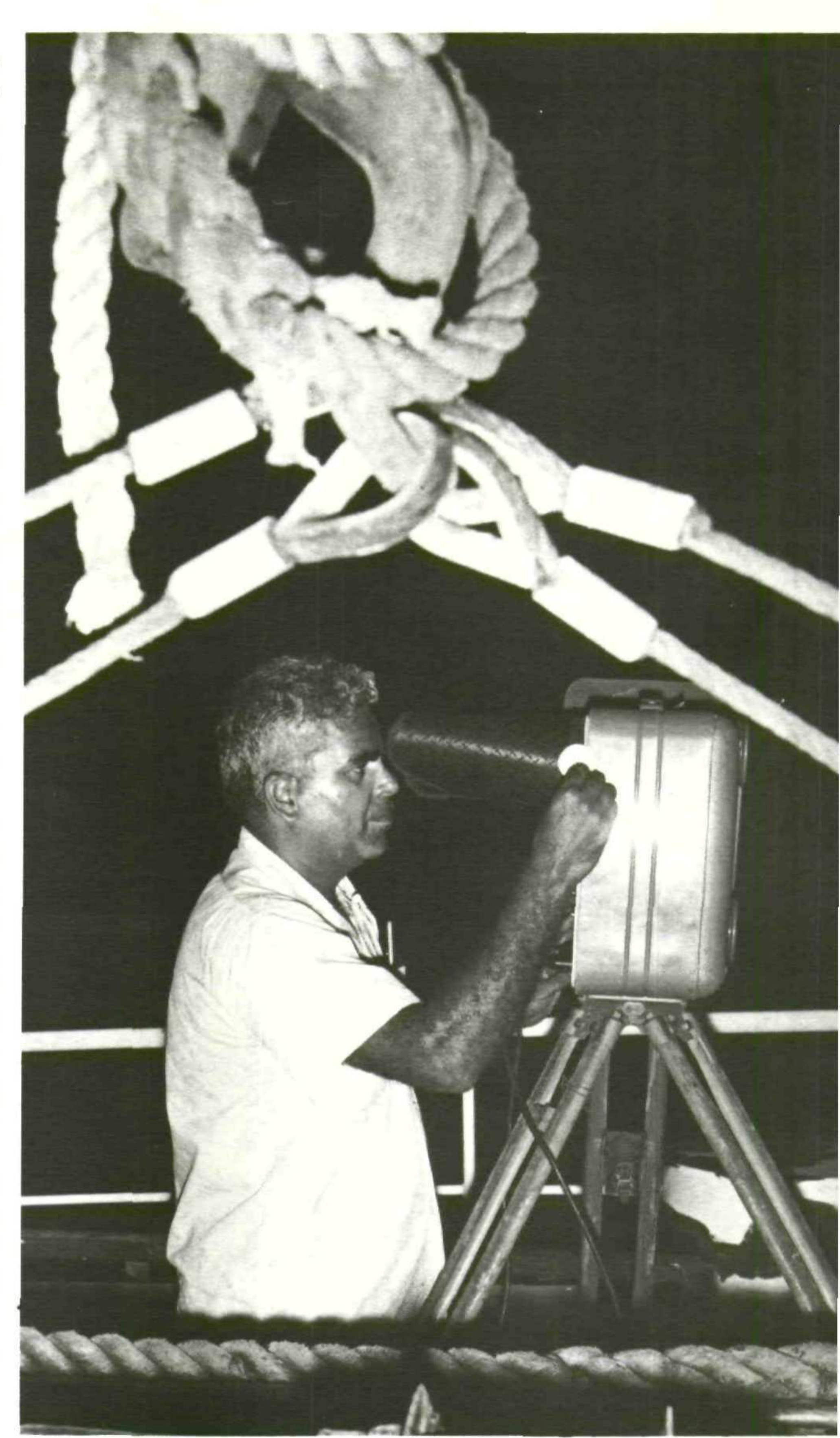
أفرغ المساحون متاعهم في « الليدي سيسلي » ، وربطت المركب التي أقلتهم الى الباخرة بحبال غليظة في انتظار مهمة أخرى ، تبدأ حالما يفرغ المساحون من أداء مهمتهم الصعبة ، بعد فترة من الراحة على متن الباخرة .

كان الليل هادئا وجميلا . وكان أحد المساحين يقف وراء جهاز صغير نصبه على متن الباخرة ، بينما نصب مساح آخر جهازا مماثلا على متن المنصة . أما قبطان الباخرة ورئيس المساحين فقد كانا في غرفة القيادة يسيّران الباخرة ببطء شديد في الاتجاه الذي يحدده المسّاحان ، نحو الموقع الجديد .

كان العلم يسيطر تماما على كل ناحية من نواحي العملية . فبأجهزة الراديو كان القبطان والمساحون يتبادلون المعلومات والتعليمات بشأن تسيير الباخرة ، بينما كانت الزاوية التي تسير الباخرة عليها ثابتة طوال الوقت بفضل جهاز قياس الزوايا الدقيق (الثيودوليت Theodolite) المثبت على منصة الحفر في حين كانت المسافة التي تقطعها الباخرة تقاس بدقة بواسطة جهاز قياس المسافات (الهيدرودست Hydrodist) المثبت على الباخرة . وفي الوقت نفسه كانت أجهزة غرفة القيادة في الباخرة تبين موقعها في دقة بالغة .

ظل القمر يعكس ظلال « الليدي سيسلي » على صفحة الماء ، وهي تمخر عباب البحر ببطء شديد ، الى أن وصلت النقطة المطلوبة في زهاء ساعتين . واذ ذاك وقفت ، وهرع المساحون لاسقاط علامة في موقع تلك النقطة ، ثم أخذوا يقيسون الزوايا المحصورة بين الخطوط المستقيمة التي تصل النقطة بنقاط الضبط القريبة منها للتأكد من صحة موقعها . بعد ذلك أخذت « الليدي سيسلي » تتحرك تجاه المنصة لتقودها بمساعدة عدد من القوارب الى الموقع الجديد ، حيث ستبدأ عمليات الحفر .

بدأ الموكب الفريد يتحرك بطيئا جدا ، المنصة الضخمة في طرف ، تجرها الباخرة وثلاثة قوارب أخرى في طرف آخر . ومع خيوط الفجر الأولى أفاق عمال المنصة وبحارة الباخرة ، ليجدوا أنفسهم في الموقع الجديد عند العلامة . عند ذلك ابتسم رئيس المساحين بارتياح ، وراحت قوائم المنصة الثلاث تغوص في قاع البحر ، ليبدأ الحفارون عملهم على متنها ، بينما أبحرت المركب « أبو سعفة » بالمساحين الى السفانية ، لتقلهم الطائرة منها الى الظهران ، تمهيدا لنقلهم الى موقع آخر لاداء مهمة أخرى .



السيد محمد حنيف يقرأ المسافة التي قطعتها الباخرة في منتصف الطريق بين موقع المنصة والعلامة المثبتة في موقع البئر بواسطة جهاز قياس المسافات (الهيدرودست) .

السيدان محمد حسن ومسعود ناصر يعينان أحد أركان قطعة الأرض المزمع تحديدها .

السيد محمد حسن يقيس المسافة بين ركنين من أركان قطعة الأرض الممسوحة .

في البرّ أيضاً

لا تكاد أعمال المساحين في البر تختلف عنها في البحر ، بل لعلها تفوقها كثرة وتنوعا . فبالاضافة الى مسح مناطق شاسعة من الأرض لرسم خرائط لسطوحها ، والتعرف على معالمها ، يقوم المساحون بمسح مناطق أخرى محدودة لأغراض البناء أو انشاء المشاريع ، أو حفر الآبار ، أو تحديد المناطق المحجوزة ، أو أعمال مد خطوط الأنابيب وخطوط الطاقة على اختلاف أشكالها .

فعندما تنوي الشركة بناء مرفق ما ، يختار المهندسون موقعه على الخريطة . ثم يتوجه المساحون الى المنطقة التي يقع فيها لتعيين مكانه على الأرض ، ووصف طبيعة سطح الأرض في ذلك المكان ، من حيث الارتفاع والانخفاض ، ودراسة بعد الموقع عن الطرق ، وخطوط الأنابيب ، والتلفون ، والطاقة الكهربائية .. الخ . ثم يرسمون للموقع خريطة مفصلة يرفقونها بتقرير واف ، ويبعثون بها مع التقرير الى الجهة التي طلبت اليهم اجراء المسح .

وعند البدء في بناء المرفق ، يظل المساحون على اتصال بالبنائين ، للتأكد من أن البناء يجري حسب مواصفات المخطط المسحى المرسوم له ، ثم يعودون الى المرفق بعد انجازه لمسحه مرة أخرى ، ورسم خريطة نهائية له . وهم يعتمدون في ذلك على نقط أرضية للضبط كتلك التي في البحر ، ومن احدى هذه النقاط يعكسون الزوايا بالمقدار المحدد في خرائطهم ، لتحديد النقاط التي تحصر قطعة الأرض ، ثم يقيسون ارتفاعها عن سطح البحر لمعرفة مدى ما تحتاجه من أعمال التمهيد والتسوية قبل بدء انشاء المشروع عليها .

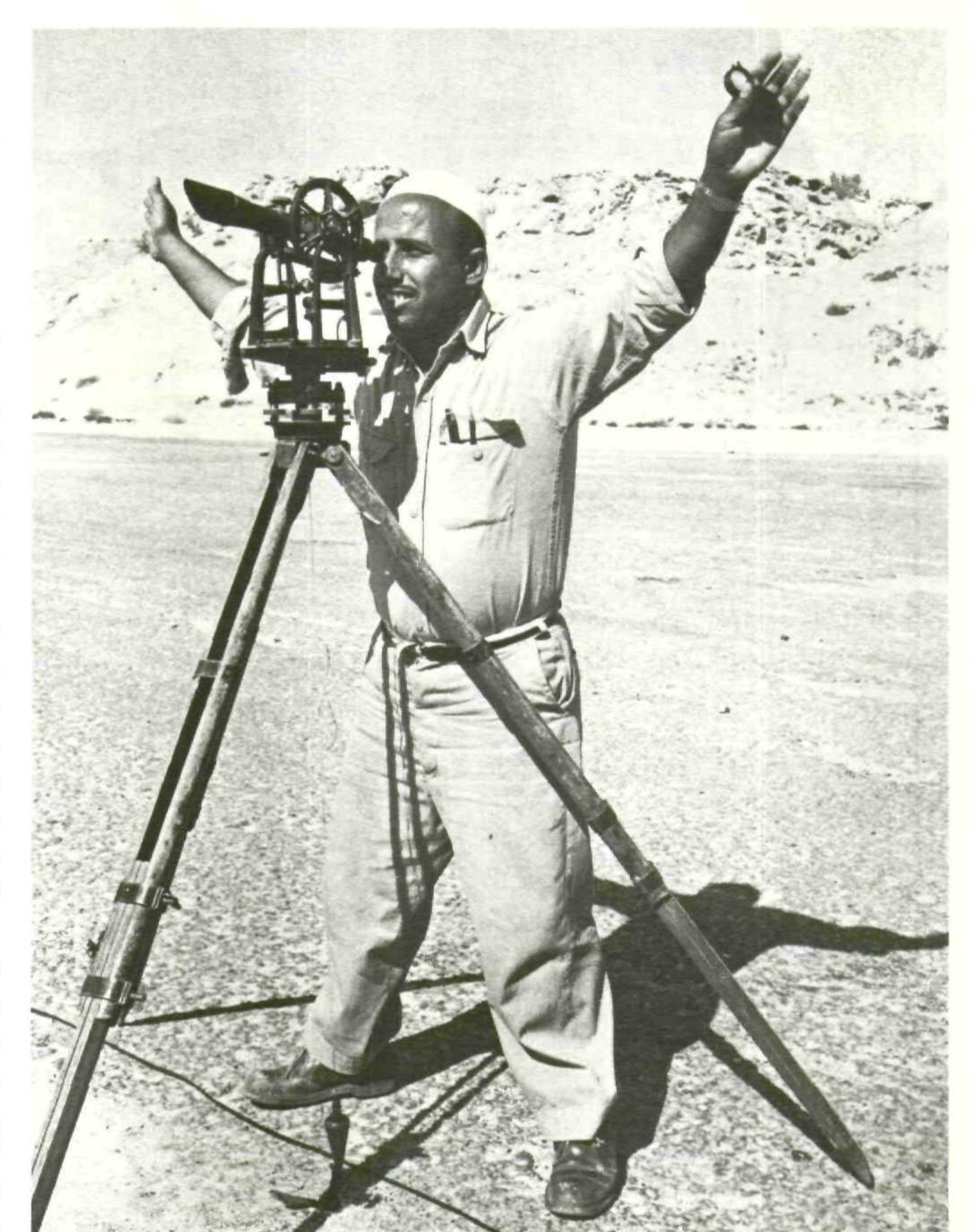
ما هي نقاط الضبط ؟

منذ بدأت الشركة أعمالها ، قام المساحون باختيار نقاط بارزة في أماكن طبيعية واضحة (Astrostations) وتعيين مواقعها بقياس زوايا النجوم المعروفة . ومن هذه النقاط عمدوا الى تعيين نقاط أخرى للضبط بواسطة التثليث الهندسي (Triangulation) ، ثم قاموا بتعيين نقاط ضبط ثانوية ، وضعوا فيها علامات ثابتة تمكن رؤيتها بسهولة .

ولتعيين موقع ما ، في البر أو البحر ، لا بد للمساحين من البدء في أقرب نقطة من هذه النقاط الى الموقع الذي يجري تعيينه كما أسلفنا . وبواسطة هذه النقاط يستطيع المساحون تعيين نقاط ضبط جديدة ، تشمل مناطق لم يجر مسحها من قبل . وتحتفظ « وحدة المساحة » في الظهران بخرائط مفصلة تبين مواقع محطات قياس أبعاد النجوم ، ونقاط الضبط ومواصفاتها وأبعادها ، والزوايا التي تحصرها الخطوط المستقيمة الواصلة ما بينها .

ومن الجدير بالذكر أن « وحدة المساحة » في الظهران تضم ٣٢ موظفا بين رئيس عام ورؤساء فرق ، ومساحين ، ومساحين تحت التدريب ، منهم ٢٦ من العرب السعوديين بما في ذلك رؤساء الفرق الخمس . وتقوم الوحدة بتدريب معظم موظفيها على أساليب المسح الحديثة ، واستعمال أدوات القياس الدقيقة ، التي هي كل عدتهم وعتادهم في الحل والترحال ، بالاضافة الى ما يتلقونه من تدريب في مركز التدريب الصناعي وورشة التدريب في الظهران .

حسن



السيد مسعود ناصر يعطي اشارة لزملائه بعد أن عين الزاوية المطلوبة بواسطة جهاز قياس الزوايا .
تصوير سعيد الغامدي

تراجم



بقلم الاستاذ محمد عبدالله عنان

لعل الرحالة الأندلسي « ابن جبير » ، من ألمع الرحل الأندلسيين خلالا ، وأبقاهم ذكرا ، فهو فوق ما أسبغته عليه رحلته من الشهرة ، محدث راسخ ، وأديب بارع ، وشاعر محسن ، وكاتب بليغ ، وتعتبر رحلته ، بالرغم من نطاقها المحدود من أقيم كتب الرحلات الأندلسية وأمتعها .

وهو « محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد ابن جبير » ، وينتهي نسبه الى « نزار بن معد بن عدنان » ، وقد وفد جده « عبد السلام بن جبير الكناني » على الأندلس في سنة ١٢٣ هـ ، ونزل أولا بـ « كورة شذونة » ، ثم تحول بنوه الى شرق الأندلس ، بقطاع « بلنسية » . وولد « ابن جبير » في ثغر بلنسية أو « شاطبة » في سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) ، ونزح في شبابه الى « جيان » ، واستوطنها مدة ، تزوج خلالها من « أم المجد عاتكة » بنت الوزير « أبي جعفر الوقشي » ، ثم غادرها الى غرناطة واستقر بها . ودرس « ابن جبير » القراءات والحديث ، وبرع في الآداب ، وبرز في الكتابة والنظم . وكتب في شبابه لوالي « سبتة » السيد أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن ، ثم كتب لوالي غرناطة ، ونال جاها وثراء ، ثم تزهد واعتزم الرحلة الى المشرق لقضاء فريضة الحج . وكان يومئذ في نحو الأربعين من عمره .

وكانت الأندلس يومئذ تحت حكم « الموحدين » ، وكانت ما تزال من حيث اتساع رقعتها وضخامة مواردها ، قوة عظيمة في شبه الجزيرة الاسبانية يحسب حسابها ، وكان الخليفة يومئذ هو ، « يعقوب المنصور » ، أعظم خلفاء الدولة الموحدية ، وهو الظافر في معركة « الأرك » العظيمة التي وقعت بعد ذلك بين « الموحدين » و « القشتاليين » بأعوام قلائل ، في سنة ٥٩١ هـ (١١٩٤ م) .

وغادر « ابن جبير » غرناطة في رحلته الأولى الى المشرق في اليوم الثامن من شوال سنة ٥٧٨ هـ (٣ فبراير ١١٨٢ م) ، ومعه صديقه « احمد ابن حسان » ، واجتاز أولا على « جيان » لقضاء بعض الأسباب ، ثم سار جنوبا عن طريق

« القبذاق » ، ف « أستجة » ، ف « أشونه » ، ف « أركش » ، حتى وصل الى ثغر « طريف » وعبر منه المضيق الى قصر « مصمودة » أو « القصر الصغير » . ثم سار الى « سبتة » ، وألفى بها مركبا كبيرة للجنوبيين مقلعة الى الاسكندرية ، فاستقلها ، وسارت بحذاء شاطىء الأندلس متجهة الى ثغر « دانية » ، فوصلته ، ثم غادرته متجهة الى جزيرة «يابسة»، فجزيرة « ميورقة » ، « فجزيرة سردانية » ، ووصلت الى شاطىء صقلية بعد رحلة شاقة ، اشتدت فيها العواصف ، وهاج البحر ، وتعالت الأمواج ، وشهد الركاب خلال ذلك جبل « اطنة » الذي يقع به البركان الشهير ، وهو مكلل بالثلوج .

وسارت السفينة بعد ذلك صوب جزيرة « اقريطش » ، ثم اتجهت منها جنوبا الى الاسكندرية ، فوصلتها في اليوم التاسع والعشرين من ذي القعدة من العام نفسه ، بعد أن قطعت في رحلتها من « سبتة » ثلاثين يوما .

وصف «ابن جبير» تلك الرحلة البحرية الشاقة، وما لقيه خلالها من أهوال البحر وأخطاره المروعة ، وما شاهده في مختلف المراسي من المناظر والمشاهد ، ومنار الاسكندرية، كما يصف مدارسها ، وما رتبه السلطان للواردين عليها من الاطعام والايواء ، كل ذلك بافاضة وبأسلوب جزل ممتع . بيد أنه يشكو مما لقيه هو وزملاؤه الحجاج من رجال الضبط المغاربة من التعسف والعنت ، وكيف أنهم أصروا على فحص سائر ما يحملون من مال وغيره، ومن أداء الزكاة عنه دون التحقق مما اذا كان قد حال عليه الحول من عدمه ، وقد فتشوه ، كما فتشوا غيره من رجال ونساء ، وانه لذلك نظم قصيدته متوسلا الى السلطان صلاح الدين بأن يرعى حقوق المسلمين ومادحا له في الوقت نفسه . ومما جاء في هذه القصيدة :

طلت على أفقك الزاهر
سعود من الفلك الداير
فأبشر فإن رقاب العدى
تمد الى سيفك الباتر
فقمت بنصر إله الورى
فسماك بالملك الناصر
وجاهدت مجتهدا صابرا
فلله درك من صابر

وبعد أن قام « ابن جبير » أياما قلائل بالاسكندرية ، غادرها الى القاهرة ، فوصل اليها في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة عام ٥٧٨ هـ ، ونزل بمصر (الفسطاط) في فندق « أبي الثناء » بزقاق القناديل ، قرب جامع عمرو . فوصف القاهرة وصروحها وآثارها ، ومساجدها ، ومزاراتها .

وغادر « ابن جبير » القاهرة الى الصعيد بطريق النيل حتىّ وصل الى « قوص » ، وهنالك التحق بالقافلة التي تسير الى « عيذاب » عبر الصحراء الشرقية . فوصل اليها في اليوم الثالث من ربيع الأول عام ٥٧٩ هـ ثم ركب منها البحر متجها الى جدة ، فوصلها في اليوم الرابع من ربيع الثاني من العام نفسه . وكانت قوافل الحاج تسلك يومئذ هذا الطريق الوعر مرغمة ، اذ كانت حصون الصليبيين تسيطر على طريق العقبة وشمالي البحر الأحمر وتهدد سلام الحاج بعدوانها المتكرر .

ووصل الرحالة الى مكة المكرمة بعد ذلك ببضعة أيام . وهو هنا يحمل بشدة على ما كانت عليه الأحوال والأوضاع يومئذ ، وينتهز الفرصة في الوقت نفسه لينوه بما كان عليه المغاربة من الصلاح والتقوى ، وما كان عليه الموحدون من استمساك بعرى الدين ، واحكام السنة ، واقامة العدل .

وأقام « ابن جبير » بمكة المكرمة نيفا وثمانية أشهر ، وقضى مناسك الحج . وهو يفيض في وصف مكة وخططها وعمرانها وأحوالها ، وفي وصف الكعبة الشريفة وبابها وكسوتها وأقسام مسجدها ، ومقام ابراهيم عليه السلام ، ومكان الطواف، والحجر الأسود، وبئر زمزم، والصفا والمروة ، يصف ذلك كله بافاضة ، ودقة ، وحرارة ، وأسلوب رفيع من البيان الممتع الأخاّذ . ولقد كتب كثير من الرحل المسلمين في وصف هذه الأماكن المقدسة ، وأفاضوا وأبدعوا ، لكنهم لم يوفقوا الى مثل هذا الوصف البليغ المؤثر الذي تركه لنا « ابن جبير » .

وسافر « ابن جبير » من مكة المكرمة الى المدينة المنورة في الثاني والعشرين من ذي الحجة عام ٥٧٩ هـ ، فوصل اليها في اليوم الثالث من محرم من العام نفسه، أقام بها خمسة أيام ، قضى خلالها مناسك زيارة المسجد النبوي الكريم ، فقدم وصفا موجزا عن زيارته للمدينة المنورة ومشاهداته بها .

وهنا تنتهي المرحلة الأولى من رحلة ابن جبير . وهو بعد ذلك يغادر المدينة المنورة متجها الى العراق خلال نجد ، فيصل الى بغداد ، ويقضي بها أسبوعين يزور خلالهما معالم مدينة الخلفاء ويصف خطط بغداد ، ولا سيما المدينة الشرقية التي كانت يومئذ مقر الخلافة ، كما يصف الخليفة العباسي « أبا العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء بنور الله » ، ثم يصف مجالس بغداد العلمية ، ويقول انه قد سمع بها اثنين من أكابر العلماء هما الامام « رضي الدين القزويني » ، و « أبو الفرج الجوزي » .

وغادر « ابن جبير » بغداد في منتصف صفر عام ٥٨٠ هـ مع الركب المرافق « لخاتون » (الأميرة) « أم عز الدين بن مسعود » صاحب الموصل ، وشاهد في طريقه مدينة « سر من رأى (سامراّ) ، مصيف الخلفاء السابق . وقد وصف الموصل ، وقلعتها العظيمة وأسوارها وأبراجها الحصينة .

ومن الموصل سار « ابن جبير » الى « نصيبين » فمدينة « حران » فمدينة « منبج » ، فمدينة حلب ، فحماة ، فحمص . وقد خص حلب من بين هذه المدن بوصف حماسي موجز ، وصف فيه ضخامتها ، وسعة خططها ، واسواقها ، ومسجدها الجامع الفخم ، ومدارسها .

ووصل « ابن جبير » الى مدينة دمشق في الرابع والعشرين من ربيع الأول من العام نفسه وقد بهرته معالمها المشرقة ، فوصف جامعها الأعظم بافاضة ، وصحنه وأبوابه وقبابه ، ومشاهده ومزاراته . كما وصف أبواب دمشق ، ومعالمها ، وأحوالها ، وعوائد أهلها ، ومدارسها الزاهرة .

وهنا تنتهي رحلة « ابن جبير » في البلاد الاسلامية . ذلك أنه بعد أن انتهت زيارته لدمشق لم يبق عليه الا أن يدبر أمر عودته الى وطنه . وهو من حين مغادرته لدمشق ، في اليوم الخامس عشر من جمادي الآخرة عام ٥٨٠ هـ ، يجوز خلال الامارات والقواعد الصليبية الممتدة من بانياس الى صور ، الى عكا .

وكانت مدينة « عكا » خاتمة المطاف في رحلة « ابن جبير » المشرقية . ومن هناك استقل « ابن جبير » مركبا جنوية كبيرة متجهة الى صقلية في اليوم العاشر من رجب عام ٥٨٠ هـ . وقد كانت الملاحة الجنوية تسيطر يومئذ على مواصلات البحر المتوسط . ووصل ابن جبير الى صقلية بعد رحلة بحرية شاقة ارتدت فيها المركب بفعل الرياح الى الوراء غير مرة . وما كادت تصل الى « مسيني » حتى تحطمت قلاعها على مقربة من البر ، ولم ينقذ ركابها سوى مقدم زوارق النجاة من الميناء باشراف ملك الجزيرة نفسه « غليام » وجملة من رجاله .

وهنا سنحت الفرصة « لابن جبير » لزيارة صقلية ، تلك الجزيرة الكبيرة ، التي كانت ما تزال بها للمسلمين والحضارة الاسلامية بقية يحسب حسابها ، وابن جبير شغوف بالدرس والملاحظة . وقد الفى فرصته لدراسة أحوال المسلمين في الجزيرة ، فوصفها ووصف ما وهبته من أسباب الخصب والنماء حيث يقول : « وكفى بأنها ابنة الأندلس في سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهة » . ثم وصف مدينة مسيني (أو مسينه) ، وما بها من القصور والبساتين ، كما وصف ملك الجزيرة « غليام » ، ووزراءه وحجابه ، وفتيانه ، وما يرتدونه من فاخر الحلل ، ثم وصف من مدن الجزيرة « شغلودي » ، و « ثرمة » ، و « بلارمه » (بيلرم) ، و « اطرابنش » (تراباني) ، وأفاض بالأخص في وصف « بيلرم » ، وهي عاصمة الجزيرة ، وجمالها وفخامة قصورها ومعابدها ، وروعة معاهدها . كما تضمن وصفه أحوال الجاليات الاسلامية في تلك المدن وأوضاعها المؤلمة في ظل الحكم الفرنجي ، واحياءها وأسواقها ومساجدها وعوائدها ، ثم وصف زعيم المسلمين بالجزيرة وهو يومئذ « أبو القاسم بن حمود » المعروف « بابن حجر » .

وأنفق « ابن جبير » في جزيرة صقلية زهاء ثلاثة أشهر ، ثم ركب البحر من « اطرابنش » في اليوم التاسع من ذي الحجة سنة ٥٨٠ هـ ، في مركب جنوية سارت به صوب الجزائر الشرقية (جزائر البليار) ، ورست على يابسة في العاشر من محرم عام ٥٨١ هـ ، ثم سارت بعد ذلك شرقا نحو بر الأندلس مما يلي ثغر « دانية » ، بمحاذاة الشاطىء حتى وصلت الى ثغر قرطاجنة ، فنزل بها ابن جبير ، وسار برا الى « مرسية » ، فـ « لورقة » ، فـ « المنصورة » ، فـ « قنالش » ، فـ « بسطة » ثم « وادي آش » ، ووصل الى منزله بغرناطة في اليوم الثاني والعشرين من الشهر نفسه ، واستغرقت رحلته منذ خروجه من غرناطة الى وقت ايابه اليها عامين وثلاثة أشهر ونصف الشهر .

تلك هي رحلة « ابن جبير » الأولى ، وهي رحلته الدراسية الكبرى التي دونها لنا في كتابه ، الذي استعرضنا محتوياته فيما تقدم ، وهو كتاب يصفه « ابن عبدالملك المراكشي » بأنه (كتاب ممتع مؤنس ، مثير سواكن النفوس الى الرفادة على تلك المعالم المكرمة والمشاهد المعظمة .)

وقام « ابن جبير » بعد ذلك برحلتين أخريين الى المشرق ، فخرج من وطنه غرناطة لرحلته الثانية في اليوم التاسع من ربيع الأول سنة ٥٨٥ هـ . وكان الحافز له للقيام بتلك الرحلة فتح بيت المقدس على يد الملك الناصر « صلاح الدين » في رجب سنة ٥٨٣ هـ ، وما بثه ذلك الفتح العظيم في أنحاء العالم الاسلامي من بواعث الغبطه والحماسة . وحج للمرة الثانية في العام التالي ، وعاد الى غرناطة في اليوم الثالث عشر من شعبان سنة ٥٨٧ هـ . ثم سكن « مالقة » حينا ، وعبر البحر الى المغرب ، فسكن « فاس » ، ثم « سبتة » ، وانقطع في تلك الفترة الى سماع الحديث والتصوف ، والاقراء .

خرج « ابن جبير » في رحلته الثالثة بعد عام واحد من وفاة زوجته « عاتكة » ووصل الى مكة سنة ٦٠٢ هـ ، وحج للمرة الثالثة ، وجاور بالحرم الشريف طويلا ، ثم رحل الى بيت المقدس ، ثم سافر الى مصر ، ثم الى الاسكندرية ، واستقر « ابن جبير » بقية حياته بالاسكندرية يقرىء الحديث ويؤخذ ويروى عنه ، وطار صيته يومئذ في دوائر الحديث بمصر والشام والأندلس

وكان « ابن جبير » ، حسبما يصفه ابن عبد الملك في ترجمته في « التكملة » أديبا بارعا .، وكاتبا بليغا ، وشاعرا مجيدا ، نزيه المهمة ، سري النفس ، أنيق الطريقة في الخط . وله مدائح كثيرة في السادة من بني عبد المؤمن الموحدين الذين كتب عنهم . وكذلك جرت بينه وبين طائفة كبيرة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته ، وروعة أسلوبه .. وله رسالة بليغة مؤثرة في وصف الحرم النبوي الكريم عنوانها « اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك » . وقد جمعه في ديوان يقال أنه يقع في مجلد متوسط ، ومنه جزء سماه « نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح » أودعه قطعا وقصائد في رثاء زوجه « أم المجد » ، والتوجع لفقدها ، وهو يشتمل على أكثر من ثلاثمائة بيت ، عدا موشحات خمس . وجزء آخر سماه « نظم الجمان في التشكي من اخوان الزمان » وهو يشتمل على أكثر من مائتي بيت ، وله الى جانب ذلك رسائل بديعة وطائفة من الحكم .

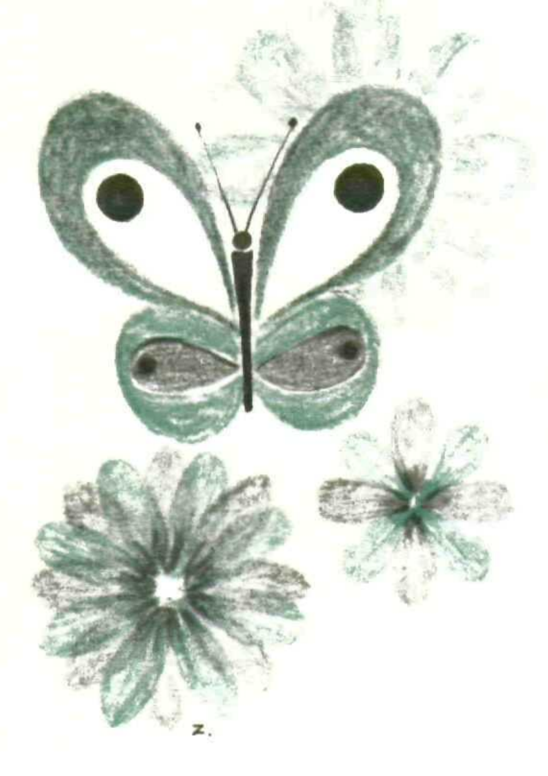
ومن قوله يتشوق الى الأندلس عند قفوله من حجته الثانية حينما لاحت له جبال « دانية » :

لي نحو أرض المنا من شرق أندلس
شوق يؤلف بين الماء والقبس
لاحت لنا من ذراها الشم شاهقة
تدني لزهر الدار كف ملتمس

وتوفي « ابن جبير » بالاسكندرية في التاسع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤ هـ (١٠ نوفمبر سنة ١٢١٧) ، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين .

الفراشةُ.. والشاعِر

للشاعر احمد قنديل



جاءت تعابثني في الفجر زاهية   فراشة .. كالسنا كالفجر من عمري
رفرافة في الحقول الخضر ضائعة   نهب الهوى ضاع بين الغصن والثمر
كقلبي التائه الطواف بين جوى   باد وبين جوى في القلب مستتر
قالت : رأيت بعين الحب ساهرة   شباكك الأخضر المفتوح في السحر
ونور مصباحك الوردي خافتة   أضواؤه كبقايا الحلم من وطر
وفي سريرك اطراس مبعثرة   مشى اليراع بها شوطا ولم يسر
وبين كفيك سفر مثل قارئه   بدا هناك كطير همّ لم يطر
وفي سمائك لحن حائر رقصت   أنغامه تتحدى رنة الوتر
وفي فضائك اصداء مرنمة   باحت فلاحت كأضواء من القمر
فقلت هذا الذي أرجو بجيرته   ما أبتغيه : حياة الطين والمدر
فان كل بيوت الحي موصدة   دوني ومظلمة كالحظ من قدري
الاك ، يا زهرة بالحقل يانعة   الاك ، يا شاعرا بالدمع بالمطر
تهاطلا من عيون الناس ظامئة   ومن عيون السما تروى ظما الشجر
فقلت : يا حلوتي أهلا بجارتنا   أهلا براوية الأيام للسمر
يا مرحبا ببقايا الحب ضاحكة   أيامه ولياليه بلا حذر
اني أحبك معنى يا فراشتنا   للحب نورا جلا الأنوار للبشر
ضحيت بالعمر مدا في شواطئه   كيلا نرى الجزر نقصا في مدى العمر
رفيقة النور صوتا للنداء علا   وللفداء غلا يسمو على الخطر
اني أحبك روح الحب نادرة   فوق العطاء جزاء سامق الوطر
ترعرع الشعر أطيافا مجنحة   في مقلتيك – وليد الليل والسهر
يسابق الفجر في أحلام غرته   رغم الدياجي سنى من روحك العطر
فاستشعرت كونها السحري هاتفة   هلا رويت الى الدنيا هنا خبري ؟



دار التربية الاجتماعية للبنات في جدة

منظر عام لمبنى دار التربية الاجتماعية في جدة .

على بعد سبعة كيلومترات غربي مدينة جدة تقع « دار التربية الاجتماعية للبنات » التي أسستها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٣ هـ بغية ايواء اليتيمات من بنات الوطن ، وتقديم الرعاية الصحية والاجتماعية والثقافية لهن . وتأهيلهن التأهيل المناسب لكي يضمن لأنفسهن مستقبلا كريما لائقا : وقد بلغ عدد الفتيات الملتحقات بهذه الدار حتى الآن ٦٠ فتاة . تتراوح أعمارهن بين السادسة والسابعة عشرة .

القبول

كل فتاة سعودية فقدت والديها ، أو كان والداها منفصلين وليس في مقدورهما رعايتها والانفاق عليها ، تقبل في الدار شرط أن تتبين للاخصائية الاجتماعية ان حال الفتاة الاجتماعية تستدعي المساعدة والرعاية . كما يشترط في قبول الفتاة أن يكون سنها دون الثانية عشرة وفوق الخامسة ، وأن تكون خالية من الأمراض المعدية . ويخصص لكل فتاة تقبل في الدار ملف تدون فيه جميع المعلومات الصحية والسلوكية والاقتصادية والمهنية والاجتماعية الخاصة بها منذ دخولها الدار حتى مغادرتها ايـاهـا .

الهيئة الإدارية

تتألف الهيئة الادارية لهذه الدار من مديرة ومساعدة لها ، واخصائية اجتماعية ، وناسخة ، ومدرستين ومراقبتين ليليتين ، ومراقبة نهارية ، ومعلمة خياطة ، ومعلمة تدبير منزلي ، وممرضة ، بالاضافة الى الحاضنات . ومن مهام هذه الهيئة ، الى جانب العناية الادارية بمرافق الدار والنشاطات التي تقوم بها ، الاشراف على الطالبات ، وفق برامج ونظم ادارية يتمشين بموجبهـا . كما تعنى الهيئة الادارية ، بالمحافظة على صحة الطالبات ونظافتهن ولبسهن وأكلهن ودروسهن ، وحثهن على القيام بأداء الفروض الدينية بانتظام . وهنالك اشراف خارجي تقوم به الاخصائية الاجتماعية على دار التربية تحت رعاية المكتب الرئيسي للشئون الاجتماعية بالمنطقة الغربية .

الرعاية الثقافية

تتلقى الفتيات الدراسة في مدارس الرئاسة العامة لتعليم البنات حيث تنقلهن الحافلات . ولدى انتهاء الحصص الدراسية تعيدهن الحافلات الى الدار الاجتماعية فتتولى المراقبات أمرهن ، حتى اذا ما حان موعد المذاكرة ساعدتهـن المدرسات على الاستذكار وأداء واجباتهن المدرسية . وفي الدار فصول خاصة بالمذاكرة مزودة بالأدوات المدرسية ووسائل الايضاح . كما توجد فيها قاعة للمطالعة مزودة بالكتب الثقافية والاجتماعية والدينية والعلمية والقصص الممتعة التي تتفق ومستوى الطالبات الذهني وتتناسب مع أعمارهن . وتستخدم هذه القاعة أيضا لاحياء الندوات الثقافية والدينية ولعرض الأفلام التثقيفية والصحية والتربوية .

الرعاية الصحية

خصصت وزارة الصحة لدار التربية طبيبة صحة عامة تزور الدار خلال فترات دورية

تحرص فتيات الدار على تأدية الفروض الدينية بانتظام .



منتظمة، فتقوم بفحص الطالبات وعلاجهن ، وتدوين حالتهن الصحية في سجلات خاصة ، كماتقوم بالكشف الصحي على مرافق الدار . وقد خصصت للطالبات المريضات غرفة تمريض تضم ثلاثة أسرّة . كما تشتمل الدار على عيادة صغيرة وصيدلية تحوي الأدوية والعقاقير الطبية اللازمة . وتشرف على هذه الصيدلية وتعتني بها ممرضة دائمة ، تقوم في الوقت نفسه بالاسعافات الأولية اذا اقتضى الأمر . وبالاضافة الى ذلك تقوم الممرضة بتدريب فريق من الطالبات على وسائل الاسعاف الأولي .

الرعاية الاجتماعية

تتولى مهمة الرعاية الاجتماعية اخصائية متفرغة لشئون فتيات الدار ، تعنى بتربيتهن واعدادهن اعدادا يقوم على المحبة وحسن المعاملة والتآلف . ولتوفير الجو العائلي لهن ، قامت الاخصائية الاجتماعية بتقسيمهن الى أسر ثلاث حملت أسماء نساء عربيات شهيرات احياء لذكراهن وتمجيدا لمآثرهن ، وهذه الأسر هي أسرة فاطمة الزهراء ، وأسرة خديجة ، وأسرة عائشة ، ولكل أسرة من هذه الأسر الثلاث موجّهة تشرف على توجيهها وتهيئتها . ويتفرع من كل أسرة جمعيات مختلفة لتنمية الهوايات المفيدة النافعة لدى الفتيات . ومن بين هذه الجمعيات جمعية للصحافة وهي تصدر جريدة حائطية شهرية تحررها الطالبات ، وجمعية لرعاية الفنون الجميلة والأشغال اليدوية والتطريز ، وجمعية لاحياء الحفلات والندوات ، وجمعية للتدبير المنزلي . وتجتمع هذه الأسر ثلاث مرات في الأسبوع يستعرضن خلالها ما قمن به من أعمال ويتبادلن وجهات النظر في كثير من الأمور الاجتماعية . وفي نهاية كل شهر ، تجتمع الأسر الثلاث معا بحضور مديرة المدرسة والهيئة التدريسية ويقمن بعرض النتاج



جانب من طالبات دار التربية الاجتماعية يستذكرن دروسهن باشراف بعض المدرسات .

افراد كل أسرة من أشغال يدوية وفنية وغيرها ، والأسرة الفائزة منها تمنح جائزة تقديرية تشجيعا لها ولنشاطها . وبعد ذلك يجمع انتاج الفتيات ريثما يحين موعد العرض السنوي الذي تقيمه الدار في نهاية العام الدراسي ويحضره أولياء أمور الطالبات . ومن أهداف هذه الأسر تهيئة التنافس المثمر بين الطالبات وخلق روح التعاون بين أفراد الأسرة الواحدة ، حتى اذا ما عادت الفتاة الى محيطها العائلي حملت معها روح المحبة والتعاون الى أهلها وذويها . ولا يعني ذلك أن تصبح الفتيات بمنأى عن أهليهن خلال فترة وجودهن في الدار ، فقد خصصت الدار يوما في كل شهر تقضيه الفتيات مع أهليهن .

ومن ضمن المرافق الأخرى التي تشتمل عليها دار التربية الاجتماعية ، قاعة للطعام وهي عبارة عن صالة رحبة تتسع لاربع طاولات كبيرة ، وتتوزع الفتيات على هذه الطاولات بحيث تكون على رأس كل طاولة كبراهن سنا ، لتقوم بمساعدة اخواتها الصغيرات في تناول طعامهن بالتعاون مع المراقبة والمدرسة « والنّادلة » اللواتي يشرفن على الجميع . كما تضم الدار جناحا للنوم يستوعب ستين سريرا موزعة على عشر غرف ، والى جانب سرير كل طالبة يوجد دولاب صغير لحفظ حاجاتها الضرورية . وهناك دواليب كبيرة لحفظ ملابس الفتيات . وتقوم المراقبة المسؤولة بالاشراف على نظام هذه الدواليب وترتيبها وعلى ابدال الشراشف وأغطية الوسائد مرتين في الأسبوع . وقد وضعت علامات فارقة على مخصصات كل فتاة حتى يمكن تمييزها عن غيرها . وتجهز وزارة العمل والشؤون الاجتماعية الكسوة السنوية لفتيات الدار ، وهي عبارة عن كسوتين واحدة شتوية وأخرى صيفية بالاضافة الى كسوتين كاملتين أخريين تقدمان للطالبات في مناسبتي عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك . ولكل فتاة من فتيات الدار مصروف شهري تقدمه لها الادارة .

مَشَاريعُ المُسْتَقبل

أهم المشاريع التي تفكر هيئة دار التربية الاجتماعية في تنفيذها في المستقبل هي اقامة منتدى ثقافي أدبي وناد رياضي لتنشيط مواهب الفتيات العقلية والجسدية ، كما تفكر في اضافة حصة لتعليم الموسيقى .

فريال محمود قطان



أنواع المربيات المختلفة يقوم بصنعها طالبات جمعية التدبير المنزلي .



طالبات جمعية التدبير المنزلي يقمن باعداد وجبات طعام بأنفسهن .

تصوير : عبد اللطيف يوسف

رأي العقاد في شوقي كان عسر الهضم

بقلم الاستاذ ابو طالب زيان

جنى العقاد — يرحمه الله — على شوقي — بل الله ثراه — ، حين أطلق عليه ، بأنه شاعر : « ارتفع فيه شعر الصنعة الى ذروته ، وهبط فيه شعر الشخصية الى حيث لا تتبين لمحة من الملامح ، ولا قسمة من القسمات التي يتميز بها انسان بين سائر الناس . »

وتعدت هذه الجناية « العقادية » ، التي ارتفعت الى ذروتها في أخريات أيام شوقي ، الى ما هو أبعد من ذلك ، وان كانت لم تنل من شوقي الشاعر ، ولم تثنه عن طريقه المرسوم ، أو تحيد به عن ما رسمه لنفسه في السير بالشعر العربي ، حتى قال :

كان شعري الغناء في فرح الشرق
وكان العزاء في أحزانه

وقال :

والشعر ان لم يكن ذكرى وعاطفة
أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

كان شعر الصنعة ، على مذهب العقاد ، شعر زيف فارغا ، لا يمت الى الطبيعة بواشجة ولا صلة ، وليس فيه الا لفظ ملفق وتقليد براء من الحس والذوق والبراعة ، وهو شعر قريب الى الطبيعة ، ولكنه مستقى مما هو شائع بين الناس ، ليس فيه دليل على شخصية القائل ولا على طبعه ، لأنه أشبه شيء بالوجوه المستعارة التي فيها كل ما في وجوه الناس ، وليس فيها وجه انسان . وقد رأى العقاد أن شوقي ، عليه رحمات الله ، سلك في جميع شعره في هذه الصفة ، حتى ان المطالع لشعره لا يخامره شك في «انه لو حاول ان يستخرج من ثنايا ذلك كله انسانا اسمه شوقي ، يخالف الأناسي الآخرين من أبناء طبقته وجيله ، لأعياه العثور عليه ، وان وجد هناك خلقا يسميهم ما شاء من الأسماء ، وشوقي اسم واحد من سائر هذه الأسماء ..

فهل كان العقاد — غفر الله له — جادا في هذا النقد ؟ أم كان ذلك الرجل الذي يدفع عن نفسه نقد الذين كانوا يتصدون له من تلامذة شوقي وعارفي شاعريته . فأراد أن يضرب بمعوله في جدار شعر شوقي نفسه ، ليتوقف بنوه عن مهاجمته أو النيل منه ، وليتركوه بغية أخذ وضعه في عالم الأدب ودنيا البيان ، وخاصة اذا عرفنا أن العقاد رحمه الله ، كان يبني نفسه بنفسه ، ويعيش وحده في عالم الأدب الرحيب ، لا متكأ له ، ولا ملجأ يلوذ به ، ولا وظيفة توفر له العيش ان هو قضي عليه في مطلع حياته ، أو حيل بينه وبين ما كان يبغيه من مجد وشهرة .

تناس العقاد وهو يتصدى لنقد شوقي أن يحيط بأطرافه الثلاثة ، التي ارتبطت كل الارتباط بشخصه ، وتداخلت كل التداخل في شعره . فشوقي لا يمكن أن يفهم الا بهذه الجوانب مجتمعة : صلته بماضيه ، وصلته بعصره ، ومسرحه . وهو في كل منها كان صادقا كل الصدق ، متجاوبا كل التجاوب ، منفعلا كل الانفعال ، اذا قسنا تجاوبه أو وازنا بينه وبين غيره من لدات عصره ، الذين وقفوا معه على جادة الطريق . فمطران وهو أحد الشعراء الذين أغرم بهم العقاد ، وعدّه صاحب « شخصية » ، لم يكن صادقا الا مع نفسه فقد تحدث عن التجديد ودعا الى الانعتاق من قيود القديم دون أن يطرح شيئا من هذه القيود ، وتبرم بمبادىء العروض التقليدية ، ولكن لم ينبذها أو ينفك عنها حتى يكون صاحب هذه الشخصية التي عناها العقاد .

كان العقاد ، رحمه الله ، يلجأ غالبا الى الهجوم على شوقي دون أن يحسب الى انه قد يصيب أو يخطىء في هجمة من هجماته .

يقول العقاد : « فالانصاف أعدل الانصاف في أمر شوقي انه في طبيعته واحد من أبناء بيئته ، يعيش كما يعيشون ، وينظر الى الدنيا كما ينظرون ، ويتذوق محاسن الأشياء كما يتذوقون ، وانه حينما يمتاز فانما يكون ذلك من عمل الصناعة أو من العمل الذي ينال بالتدريب والرياضة ولا يتلقاه الانسان ساعة يتلقى الحياة » ، ويسوق الناقد الكبير عدة أمثلة هي لشوقي أكثر ما تكون للعقاد في استشهاده على ان ليس فيها معنى

واحد يتعدى « كياسة التعبير » ، أو ليس فيها بيت واحد يحتاج الى طبيعة يولد بها الانسان ، ولا تكسب بالتدريب ورياضة الذهن واللسان :

فقول شوقي في اكتشاف آثار توت عنخ امون :

أفضى الى ختم الزمان ففضه
وحبا الى التاريخ في محرابه
وطوى القرون القهقرى حتى أتى
فرعون بين طعامه وشرابه

وقول شوقي في أبي الهول :

تحيرت البدو ماذا تكون
وضلت بوادي الظنون الحضر

أو قوله في رثاء جورجي زيدان :

نوابغ الشرق هزوه لعل به
من الليالي جهود اليائس السالي

لم يكن في هذه الأمثلة وغيرها التي استشهد بها العقاد « معنى واحد يتعدى كياسة التعبير التي يحذقها السمير والنديم ارتجالا . كما حذقها شوقي بالروية »

والانصاف أعدل الانصاف عندي ، ان شوقي كان بعيد الأثر في عصره ، حتى لقد طبع الاسلوب الشعري التقليدي الجديد بطابعه . فهو على الرغم من السلفية التي رانت على شعره ، ومشت معه في جلّ قصائده وأكثر تعبيراته ، استطاع أن يعبر عن روح العصر الذي عاشه فيه مضمونا وتعبيرا .

على ان الأبعاد التي ملكها شوقي واحتل أطرافها لتشهد له بتأثيره ماضيا وحاضرا . فنهج البردة ، عمل لا يخفى تأثره بالشعر العربي في فجر الاسلام وصدره وهو غير أثره اللاحق وتأثيره فيمن أتى بعده من جلّة الشعراء الذين يخطؤهم الحصر ، ولا يقوى الزمن على اغفال أثرهم في الأدب كشعراء ، واضح ظاهر . ومن يطالع شعر الأخطل الصغير ، أو أمين نخله أو بولس سلامه أو سعيد عقل ، لا يحتاج الى دليل في تأثر هؤلاء وغيرهم بمذهب شوقي .

كان يكفي العقاد ، قبل أن يشرع قلمه ، أن ينظر الى الشعر ، وهو يجمد في يدي اسماعيل صبري ، ويشتدّ على يدي البارودي ، ويلين على يدي حفني ناصف ، ويقدر موقف شوقي من الشعر وهو في وضعه الذي لا يحسد عليه ، لا أن يهاجمه هذا الهجوم الذي أصبح وكأنه غرض شخصي ، أو دلالة على ما كان يفعله النقدة من عدم الانصاف .

نفخ شوقي في قوالب الشعر الجامدة ، وسقاه من ثقافته ، ما جعله يمشي بين الناس ، وينظر اليه على أنه حياة وحركة ، وقد أخذ العقاد على شوقي مسرحياته التي نرى أنه أسهم بها في الحركة المسرحية العربية ، بقدر يعدّ له ويحسب من فيوضاته على العربية . فشوقي الذي كان يضع نفسه بين كبار الشعراء في العالم رأى ألا يختصر انتاجه على نسج القصائد ، بل لا بد أن يرود المسرح . كما راد الشعر بعد البارودي . وهذا دليل على خصب شاعريته وسعة طموحه ، وان كان المسرح نفسه لم يرق الى مستوى شاعريته ، أو يستطيع الوقوف على قدميه ، وقتذاك ، أمام ما كان شوقي يعمله له ، أو يريده للأخذ بيده .

وليس يعيب «شوقي أن مسرحه فشل حينذاك، أو أخفق فيما أراده له . فاللغة التي استعملها الشاعر كانت عالية على مستوى الذين يترددون على دور التمثيل ، أو هي لا تدور على ألسنة الجمهور ، الذي ظن شوقي أنه يستهويه أمثال هذه المحاولات في الوقت الذي كانت تنعدم فيه الكثافة في تراث هذه اللغة ، فضلا عن الشخصيات التي كان يجب أن تتقمص أدوارها وتعيش في هذا اللون الشعري الذي يتطلب جهدا في الحركة وانفعالا بالموقف .ولكن مهما قيل في فشل مسرح شوقي ، ومن سلك مسلكه ، فلن تذهب هذه المحاولات وكأنها لم تكن . فيكفي أن تكون قد أضافت الى الشعر العربي رصيدا ضخما كان في حاجة اليه .

غير أن العقاد يعالج سقوط مسرح شوقي من زاوية بعيدة كل البعد عما اتفق عليه كثير من النقاد ، متغاضيا عن المكاسب التي دخلت العربية بهذه الأعمال الجليلة التي قصدها شوقي وسهر على صياغتها ، وهو في أخريات أيامه .

« فان الشاعر يتكلم على ألسنة الأشخاص ، فإذا هي كائنات حية تصدر عنها الأعمال والأقوال ، كما تصدر عن الأحياء الذين تعاشرهم وتعهد أعمالهم وأقوالهم بالتجربة والألفة الطويلة . وقد سقطت من أجل هذا جميع شخصياته التمثيلية الا ما أقامه منها التاريخ والغرام ، ونعني بها المجنون وليلى وانطونيو وكليوباترة ، ولو كان تصويره للشخوص قوة مستمدة من خياله وحسه لا من السمعة التاريخية والغرامية لما انفرد هؤلاء بالظهور والاقبال » .

بعد العقاد كان قاسيا في حكمه كثيراً ، ويجانبه الصواب حين أعاب على شوقي أن سنه لم تفده في الشعر ، وان مرانه بالصعود الى الشيخوخة لم يجده نفعا . ويضرب على هذا الأمثلة .. فالشعر في نظره لا يتدرج في الرقي ، كما يتدرج العلم والتعليم ، فقد ينبغ الشاعر ويتلوه من هو أصغر منه ، ويسبقه من هو أعظم منه ، لأن الشعر هبة في القرائح كهبة الجمال في الوجوه :

« فالجيل الذي نشأ بعد شوقي لم يتأثر به أقل تأثير ، لا من حيث اللغة ولا من حيث الروح ، بل ربما كان الأصح أن شوقيا تأثر بمن نشأوا بعده ، فجنح في أخريات أيامه الى أغراض من النظم تخالف أغراضه الأولى ، التي كان يعيبها عليه الجيل الناشيء في أوائل القرن العشرين ، فاتجه الى الروايات وأكثر من الاجتماعيات والتاريخيات ، وعدل أو كاد عن شعر المناسبات الضيقة ، الذي كان ينحصر فيه وقلما كان يتعداه .. »

ويستمر العقاد في ضرب الأمثلة للتدليل على أن أحدا من الأدباء لم يتأثر بشوقي ، بل لم يكن في حساب المتأدبين شيء اسمه شوقي على الاطلاق . ويغفل العقاد من حسابه ما صنعه شوقي بالشعر وانتقاله على يديه من الجمود الى الاطلاق ، ومن الأحباس الى الحريات ، ومن القيود الى هذا الذي نراه اليوم ونحسّه لدى كبار الأدباء في كل بلد عربي . ثم من قال ان الشعر لا يتدرج في الرقي كما يتدرج العلم والتعليم ؟ وهل الشاعر في محاولاته الأولى ، وفي سنيه الغضة هو هو عندما ينضج عقله وتتسع مداركه ، وتكتمل ثقافته ؟

الظن أن العقاد لم يوفق التوفيق الذي كان يريده في النيل من شعر شوقي ، أو اظهاره بمظهر الفاشل في ميدانه . رحمهما الله وغفر لهما .

تطوير وسائل الغطس في المياه العميقة

تشهد أعمال الغوص في المياه العميقــة ، وأساليب هندسة المناطق المغمورة ومسحها تطورا مطردا ، وذلك بفضل اتساع رقعة أعمال التنقيب عن الزيت في تلك المناطق ، وارتفاع الطاقة على الانتاج منها بنسبة تشكل ١٦ في المائة من اجمالي انتاج العالم الحر . وبلغ عدد الشركات المعنية بالتنقيب عن الزيت في المناطق المغمورة بالمياه حوالي مائة شركة تنتمي الى أكثر من ستين دولة مختلفة .

بيد أن أعمال الغوص في المياه العميقة تنطوي على مشقة وخطورة وتكلف الكثير من الجهد والمال . لذا يتوقع المسؤولون المعنيون بالأمر أن التطور الحديث الذي تشهده وسائــل الغطس ومعداته ، سيكون له أثره الفعال في خفض تكاليف عمليات الزيت في المناطق المغمورة ، وفي تطوير أعمال التنقيب فيها .

وسيلة اخرى من وسائل الغطس الحديثة وهي تتسع لثمانية وعشريــن شخصا وتدار بالديزل .

من المعروف أن الضغط يزداد بمعدل درجة واحدة لكل ٣٣ قدما تحت الماء . ولأن الأعمال التي تجري في قاع البحر تتطلب مكوث عدد كبير من الفنيين تحت الماء لأوقات طويلة ، وفي ظروف قاسية ، حيث يشتد الضغط كما أسلفنا وينعدم وجود الهواء الصالح للتنفس ، فقد استلزم الأمر ايجاد وسائل تمكنهم من انجاز أعمالهم بسهولة ويسر ، وتضمن سلامتهم وتحول دون تأثرهم بمثل هذه الظروف .

وكان من الوسائل التي استحدثت لهذا الغرض جهاز للغطس مزود بمزيج من غازي الهيليوم والأكسجين ، ساهم في تحسين أعمال الغطس بشكل فعال . والجهاز يتكون من قناع خفيف الوزن يضعه الغطاس على وجهه ، واسطوانات يحملها على ظهره تحوي مزيجا مــن غازي الأوكسجين والهيليوم للتنفس ، وجــير الصودا لتصفية ثاني اكسيد الكربون السام الذي يزفره الغطاس ، ويصلح هذا الجهاز للغطس الى عمق يبلغ حوالي ١٠٠٠ قدم ، بينما تسمح الأجهزة التقليدية بالغوص الى عمق أقصاه ٢٠٠ قدم ، كما أن اسطوانات الغاز فيه تكفي لتموين الغطاس مدة ٤٠ دقيقة تحت الماء .

ومن وسائل الغطس الحديثة التي سيكون لها أثر كبير في تطوير أعمال التنقيب عن الزيت في المناطق المغمورة جهاز حديث مزود بغرفة خاصة تتميز بسهولة الدخول اليها والخروج منها تحت الماء ، بشكل يتيح للغطاس حرية التنقل والحركة في قاع البحر ، وهو يصلح للغطس الى عمق يبلغ حوالي ٦٠٠ قدم ، وهو العمق اللازم لعمليات التنقيب عن الزيت في أي نقطة تقع عــلى « الجرف القاري » (Continental Shelf) . والجهاز مصمم بحيث يحول دون تأثر الغطاسين بضغط الماء وحركة الموج أثناء الغطس ، ويمكنهم من أداء عملهم بسلام وأمن تامين في البحار المائجة والهادئة على حد سواء .

وقد تطور هذا الجهاز مؤخرا بأن أضيف اليه غرفة أخرى ، فأصبح الجهاز الجديد ، الذي يعرف باسم « سيتاسك — Seatask » ، يتألف من قسمين يكمل أحدهما الآخر . فالقسم العلوي ، هو عبارة عن غرفة كروية الشكل يبلغ قطرها ستة أقدام ونصف القدم ، يحتفظ فيها بالهواء بضغط يساوي الضغط الجوي على سطح البحر ، وهي مقر مشغل الجهاز ، وتضم أدوات ضبط الغاز والطاقة الكهربائية اللازمــة للغرفة السفلية وللغطاسين العاملين فيها .

أما القسم السفلي من الجهاز فهو عبارة عن غرفة اسطوانية الشكل ، قطر قاعدتها أربعة أقدام ونصف القدم ، وهي تتسع لغطاسين اثنين يستطيع أحدهما أن يعمل في قاع البحر بحرية ومرونة ولوقت طويل ، بينما يستطيع الثاني أن يعمل داخل الغرفة أو في قاع البحر ، ولكن لفترات قصيرة ومحدودة . وهي ذات ضغط عال ومجهزة بفتحة تتيح للغطاسين أن يمروا عبرها دون أي صعوبة تذكر .

وتستعمل في جهاز الغطس هذا ، شبكة من الأنابيب المحكمة الضبط لتنظيم عملية توصيل الهواء المضغوط ومزيج غازي الهيليوم والأوكسجين ، والأوكسجين النقي من زجاجات الخــزن الى الغطاسين في الغرفة السفلية . ويحتوي الجهاز أيضا على ذراع توصيل يبلغ طوله ٧٥٠ قدما ، يستخدم في مدّ خراطيم الغاز وخطوط الطاقة الكهربائية من منصة الحفر على سطح البحر الى جهاز الغطس في قاعه .



باذن خاص عن مجلة «اويل اند غاز انترناشيونال»

أبناؤنا أمانة في أعناقنا

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري

ليست العبرة في أن نحب أبناءنا ، بل العبرة في أن نعرف كيف نحبهم ، بحيث نستمد من هذا الحب قوة بصيرة تمكننا من تهذيب أخلاقهم ، وتقوية ارادتهم ، وتثقيف عقولهم .

فالأطفال معقد آمال آبائهم ، وهم أمانة غالية في أعناقهم ، ولكن أمل الآباء في أطفالهم لن يصبح حقيقة واقعة ممثلة في مخلوق أبي كريم صالح للعمل والجهاد ، الا بتربية سليمة قوامها الحب العاقل ، لا الحب العاطفي المجرد المنبعث من غزيرة جامحة عمياء .

فالى الآباء والأمهات أسوق هـذه الآراء والملاحظات في أهم أصول فن التربية :

أولا — ينمو الصبي وملء نفسه الرغبة في أن يستعجل الزمن ، وأن يكبر قبل الأوان . فهو يود أن يسأل ويناقش ويفهم ويتحرك ويعمل وفق هواه ، ولكنه يود في الوقت نفسه أن يشعر بأنه مراقب ومحكوم . فذاته تدفعه الى الحريه والمعرفة ، وتثير فيه حاسية الفضول ، غير أن الحياة الاجتماعية بنظمها وواجباتها تلقي في روعه انه في حاجة الى من يهديه ويرشده ، خشية أن تعبث نزواته بتلك النظم والواجبات ، فيستهدف للألم ويتعرض للعقاب .

فالطفل وان كان يصبو الى الحرية ، الا انه يحس بدافع الضعف والخوف وغريزة البقاء أنه في حاجة الى قوة تزجره ، وتحميه من مخاطر هذه الحرية ، وتجنبه شر الألم والعقاب . ولكن في الحرية لذة ، ولا ألذ وأمتع عند الطفل من اطلاق نفسه على سجيتها ، وارسال ميوله على هواها ، ولو استهدف ، برغم خوفه ، الى هلاك محقق . فمهمة التربية تنحصر في ضبط هـذه الحرية الوحشية المتطرفة ، مع الحرص على شخصية الصبي واستقلاله . وذلك من طريق ايقاظ قوى عقله وادراكه وما يكمن فيه من خصائص الملاحظة والاستنتاج والتجربة ، لا من طريق التهديد والوعيد واثارة الشعور بالرهبة والخوف في نفسه .

ثانيا — الخوف لا يرد الأطفال عن غيهم ، والتهديد بالعقاب ، أو العقاب بالضرب لا يثنيهم عن عزمهم . وهم لا يؤمنون بخطر عمل من الأعمال الا اذا أبصروا الخطر بعيونهم . وأدركوه بحواسهم ، ولمسوه في نتائج حادثة معينة تقع لهم أو لغيرهم . عندئذ يوحي لهم الخطر المحسوس ضرورة الحد من حريتهم ، وضبط انفعالاتهم ونزواتهم ، والاسترشاد بنصائح آبائهم ، والتقيد بنظم المجتمع وأوضاعه ، خشية أن تثأر هـذه النظم والأوضاع منهـم ، فتعرضهم للآلام والكوارث التي أبصروها بعيونهم .

فالتجربة هي التي تلهب عقل الطفل وخياله ، وهي الصورة الحية التي تقنعه . وكلما صدرت هـذه التجربة عن عمل قام به الطفل ، كانت أبلغ ، وكلما نبعت من المحيط الذي يعيش فيه ، كانت أعمق وأثبت وأرسخ . فلا ينبغي أن يحال بين الطفل وبين قيامه بعمل فجائي ، عقلي أو انفعالي ، يعرضه لخطر بسيط . بل يجب ، الحرص على استقلاله واشعاره بشخصيته ، وأن ندعه يعمل في ظل رقابتنا ، حتى اذا ما لمس بنفسه نتيجة عمله ، وواجه الخطر الذي استهدف له ، تقدمنا اليه بالارشاد والنصح على هدي التجربة التي قام بها ، وما أسفرت عنه من حقيقة صريحة واضحة .

ثالثا — ينبغي أن نشعر الطفل بأننا نثق في أفكاره واستعداداته ومواهبه . اذ أن شعور الثقة هو الحافز الأول للفكر والعمل على السواء . والتحقير يحز في صدره ، ويفقده الاحساس بكرامته ، ويجرده من كل ثقة في نفسه ، ويشيع في أطواء قلبه عوامل الحيرة والقلق والتخبط والخوف .

رابعا — اذا تسامحنا مع الطفل وتجاوزنا عن أخطائه ولو مرة ، حرضناه على التمادي فيها ، واضطررنا أن نسلم له على طول الخط . فيجب أن نحذر التسامح ما استطعنا . اذ التسامح مع الطفل لا يطمعه في صفح أهله فحسب ، بل يشعره بأنهم أضعف منه ، وأنهم دونه قدرة وذكـاء ، فيشمـخ عليهم ، ويستبد بهم ، ويمعن في استمراء لذة الاستخفاف والتحدي .

خامسا — اذا أحس الطفل أنه أخطأ ، وطلب الصفح والمغفرة ، فيجب الصفح عنه ، على شرط أن يظهر استعداده للتكفير عن ذنبه بالطريقة التي نختارها له أو التي يختارهـا هـو لنفسه .

سادسا — يجب ألا نحمل الطفل أكثر مما لا طاقة له به . فهو لا يملك قوة غير محدودة ، والواجب أن نطالبه بما نحس انه في حيز مستطاعه ، وفي حدود طاقته ، على أن ينهض به على الوجه الأكمل ، فنشجعه ونكافئه وننتقل به الى عبء أصعب .

سابعا — يقدر الطفل قيمة العدل تقديرا لا تنبهيا عميقا ، كما يشعر بوطأة الظلم شعورا فطريا شديدا . فلا تعاقبه الا اذا أيقنت أنه مذنب ، وأقنعته بخطورة ذنبه ، وعرفت كيف تـبـرز مسؤوليته وتصب عليها ضوءا ساطعا . ثم يجب أن تكون العقوبة على قدر الذنب ، والا التهب في صدر الطفل شعور الظلم ، فصبر واحتمل ، كاظما غيظه ، خانقا لوعته ، حاقدا على والديه حقدا قد يدفعه الى التمرد والعقوق ، والتوق الى الفرار من البيت .

ثامنا — اياك أن تعاقب الطفل قبل أن تسمعه ، وقبل أن تتيح له فرصة الدفاع عن نفسه . اذ أن كرامته مرهونة بهذا الدفاع . وأنت كلما أصغيت لدفاعه ، زدته احساسا بكرامته ، وأشعرته بوجود روح الحق والعدل في هذه الدنيا . على أنك يجب أن تبصره بأن العدل يقضي بأن يكون عقاب الذنب المستور أقسى من عقاب الذنب الواضح . وهكـذا يشعـر بخطورة الختل والمواربة والنفاق والغش .

تاسعا — اذا كذبت على ولدك ، وأدرك هو أنك كاذب ، استخف بك ، وضللك كمـا ضللته ، وتفوق في الكذب عليك . فكن صادقا وقدر براءة الطفل . وقل له الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة . ولكنك يجب أن تفرق بين الحقائق التي يمكن أن تقال ، والحقائق التي ينبغي أن تظل مستورة ، حتى يأذن لك تقدم سن الطفل أن تكشف له عنها النقاب .

عاشرا – الطفل لا يكذب الا اذا ارتكب شيئا يعلم أنه محرم ويستحق العقاب . فخوف العقاب هو الذي يدفعه الى الكذب . فعليك أنت أن تبدد خوفه ، وأن تعده بأن الصدق ينجيه . ومتى اطمأن واعترف ، بين له الأضرار التي نشأت عن ارتكابه الفعل المحرم واضطرته الى الكذب . ثم أطلب اليه أن يصارحك على الدوام بجميع مشتهياته كي تجيبه الى الميسور منها ، باعتبار أن الرغبة السليمة الميسورة التي يقتنع بها المرء هي التي تصون نفسه وتحفظ كرامته وتنجيه شر الكذب والاحتيال .

حادي عشر – لا تسمح لولدك باللهو الا بعد العمل ، وفي صحبة رفاق عرفت من أي وسط هم ، ولمست فيهم خصالا حميدة وخلالا طيبة . ومن الأفضل أن تبقيه معظم أيام العطلة تحت اشرافك المباشر أو اشراف أمه ، وأن تخرجا به الى الحدائق العامة حيث تشاركانه لهوه ومرحه ورغبته العميقة في فهم كل ما تقع عليه عيناه . وعندي أن النزهة للطفل لهو ودراسة . فهو أثناء النزهة يتأمل كل شيء ، ويأبى الا أن يستفسر عن كل شيء . فاجتهد في أن تلبي نداءه ، وأن تثقفه على الطبيعة ما استطعت .

ثاني عشر – لا ينظر الطفل الى استذكار دروسه نظرة جدية الا اذا شاركه فيها واحد من أبويه . فواجب الأم أو الأب هو الصبر على اضطراب الطفل وتخبطه ، ومعاونته على تعلم دروسه بأسلوب يوقظ الفكرة دون أن يلقنها ، ويهدى اليها دون أن يعينها ، وهكذا تتفتح مواهب الطفل شيئا فشيئا ، فيشعر ، متى وفق مثلا الى حل مسألة حسابية ، أنه قد أحرز نصرا كبيرا بجزء من قوته الشخصية يفوق الجزء الذي اعتمد فيه على عون أمه أو أبيه .

ثالث عشر – اذا أساء ابنك الأدب في المجتمع ، فاطلب اليه أن يعتذر أمام الناس . فاذا لم يعتذر ، أنذره ، واصرفه ، وعاقبه بعد ذلك بما يستحق . وأما اذا قام بعمل يستحق الاعجاب ، فاغدق عليه الثناء على مسمع من الجميع ، ترفع روحه المعنوية ، وتشجعه ، وتقويه .

رابع عشر – ليكن عقاب الطفل لا بضربه بل بحرمانه من الحلوى ، أو النزهة ، أو الهدايا ، أو باهماله فترة . فالاهمال يثير كبره ، ويشعره بأنه منبوذ . والطفل لا يطيق الشعور بأنه منبوذ ، اذ هو في حاجة الى الرعاية ، والى الحنان والحب ، فمتى أحس أن ذنبه أفقده الرعاية والحب والحنان ، وأوشك أن يقضي عليه بالنبذ والعزلة ، كبر عليه هوانه ، فهرع الى والديه من تلقاء نفسه ، واستغفر وندم وتاب .

خامس عشر – خاطب الأطفال ككبار ، واعلم أن لا حب الى الصغار من أن تعاملهم كالكبار ، أي في صراحة ورصانة وتعقل وجد . والمثل السائر يقول « اذا كبر ابنك ، فاتخذ منه أخا » . ولكني أقول بالاضافة الى ذلك اتخذ من ابنك ، ولو كان صبيا صغيرا ، صديقا لك . اذ الصداقة هي المشاركة ، والمشاركة هي المساواة ، والمساواة هي المودة والثقة ، والمودة والثقة هما غاية ما يطلبه الصغار من الكبار .

سادس عشر – الشائع في بعض البيوت هو معاملة الطفل اما بالتسامح المطلق معه ، والنظر الى شطحاته ونزواته نظرة عطف وحنان وزهو وفخار وتسلية وتفكه ، واما أخذه بالشدة الجامحة والعنف الطائش وإلزامه الطاعة المطلقة العمياء دون تفكير ، فينشأ الطفل جبانا رعديدا ، يولد فيه الجبن رذائل المكر والخبث ، والملق والمداهنة ، ويجرده من كل احساس بالعزة والاقدام والتفوق .

وقد تكون بعض الأمهات عثرة في سبيل تنفيذ منهج التربية السليم ، أو يكون الأمر عكس ذلك – فتأتي العثرة من الأب . فمثلا اذا أراد الأب الحكيم أن يأخذ ولده بالشدة العاقلة ، استسلمت الأم لعواطفها وأبت الا أن تأخذ ابنها باللين المذموم ، فيطلق الطفل العنان لنزواته الجامحة ، ويستحيل آخر الأمر الى صورة حية من أمه اللينة التي دللته .

فالتربية السليمة لا يمكن أن تنهض الا على التعاون التام بين الأب والأم ، وعلى وحدة الاتجاه في الفكر والارادة والتنفيذ . أو يجب أن تنهض على احترام كلمة رب البيت اذا كانت الأم ضعيفة ، والا نشأ الطفل في حضن الفوضى ، مفقود الاحساس بهيبة الوالد وروح النظام ومعنى الأسرة .

والآن يجب أن نتحدث عن الأسرة نفسها وعن عامل القدوة الذي يجب أن يتمثل فيها . ذلك لأن القدوة الحسنة أفعل من النصيحة ، وأبلغ من التجربة الشخصية ذاتها . فسلوك الوالدين اذا كان مستقيما ، وصرح البيت اذا كان ثابتا ، وروح الأسرة اذا كانت صافية انطبعت هذه الصور المثالية في مخيلة الطفل ، فيأخذ عنها ، ويقبس منها ، ويؤلف من ألوانها وظلالها اتجاه تفكيره وطابع شخصيته .

وهنا يجب أن نلفت النظر الى المنازعات التي تقع بين الأزواج والى تأثيرها الوبيل في نفوس أبنائهم ، فنقول :

يعتقد معظم الأزواج أن المنازعات البيتية التي تدب بينهم ، هي منازعات تتعلق بهم وحدهم وتمس أشخاصهم فقط ، ولا تجاوزهم الى المحيط الخاص الذي يعيش فيه أولادهم . ولكن الطفل ، ذكرا كان أو أنثى ، هو عدسة حية تلتقط كل ما يقع في البيت . فالنزاع الذي يدب بين والديه على مرأى ومسمع منه ، ولا سيما اذا كان مصحوبا بألفاظ نابية ، هذا النزاع يعدم في مخيلته كل قدوة طيبة ، ويتخذ على الفور في نظره شكل الكارثة . فيزعزع العالم المستقر الذي كان يعتقد أنه عالمه ، ويلقي في روعه أن بيته الساكن المأمون قد تقوض بغتة وانهار .

فالطفل يؤمن ايمانا وثيقا بوالديه ، ويستمد غذاءه المعنوي ، بل المادي ، من فرحة التوافق السائد بينهما . فاذا انعدم هذا التوافق واستحال الى صراع ، اعتلت صحة الطفل ، وتلوثت نفسه ، لا في حاضرته فقط ، بل في مستقبله أيضا .

ولقد أحصى عالم نفسي هو «أنطون جوبير» مائة حالة من حالات الانحراف عند الأحداث والشبان ، فتبين له أن نصف المنحرفين منهم كانوا ضحايا القدوة السيئة في بيوتهم ، ضحايا منازعات مروعة نشبت بين آبائهم وأمهاتهم وأفضت الى تصدع كيان الأسرة ، فتشردوا وسممت حياتهم ، وتحطمت أمثلة الفضيلة والخير والمحبة والسلام التي كانوا يتطلعون اليها وهم أطفال ، ويتصورونها كاملة في آبائهم .

فعلى الآباء والأمهات أن يراقبوا في البيت أنفسهم ، ويضبطوا ما استطاعوا أعصابهم وألسنتهم ، ويتجنبوا اثارة أي نزاع على مرأى ومسمع من أبنائهم . وهم كلما أدركوا أنهم لا يعيشون في البيت بمفردهم ، وكلما أيقنوا أن عيون أولادهم ترقبهم . وكلما راضوا أخلاقهم وطباعهم على التعقل والتحفظ والحلم وفض منازعاتهم في خلوة ، وبذل المستحيل كي لا تؤدي تلك المنازعات الى الاطاحة بالبيت ، وكلما تمرسوا بهذه الفضائل في ارادة وعزم وحسن نية ، ساد الصفاء جو بيوتهم ، فغمرت الفرحة نفوس أولادهم ، واندفع الأولاد الى حبهم ، وطاعتهم ، والايمان بهم ، والثقة في أن الحياة الوادعة القويمة التي تجري حولهم هي الحياة التي يجب أن تكون غايتهم ومقصدهم ، عندما يشب الفرد منهم ، ويكتمل نضوجه ، ويعتزم بدوره انشاء بيت وتكوين أسرة .

الأقمشة الاصطناعية

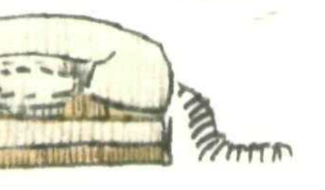
أينما كنت وحيثما حللت ، تجد المنتجات البتروكيماوية تلعب دورا مهما في تلبية العديد من متطلباتك المنزلية واحتياجاتك العملية . فهي تؤمن لك الثياب والدواء ، والأناء ، والغطاء ، والمعدات ، ووسائل الترفيه ، ومواد الزينة والعطور ، وخلافها من ضروريات الحياة التي لا تحصر لها. وعما قريب سيأتي اليوم الذي تصبح فيه البتروكيماويات مصدرا غذائيا ثرا يسهم في ايجاد حل لمشكلة سوء التغذية ، لا سيما ومصانع البتروكيماويات تعتبر اليوم من أكثر المصانع نموا وازدهارا في العالم ، ومنتجاتها تتضاعف باطراد يوما بعد يوم ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا ، يبلغ معدل زيادة المصانع البتروكيماوية ثلاث مرات ونصف المرة على معدل زيادة غيرها من المصانع الأخرى ، في حين أن عدد أنواع المواد البتروكيماوية المستخدمة في هذه المصانع يبلغ حوالي ١٠٠٠٠ نوع ، وهي تزداد بمعدل ٤٠٠ نوع جديد في السنة .

ان أكثر المركبات البتروكيماوية فائدة هي الميثان ، والأثيلين ، والبيوتيلين ، والبنزين . وعلى الرغم من كونها تشكل ثلثي البتروكيماويات المستخدمة في الصناعة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتنتج أكثر من نصف منتجات اللدائن ، وثلثي منتجات المطاط الاصطناعي ومستحضرات التنظيف ، وتدخل في صناعة معظم زيوت الشعر والأدوية والمبيدات البتروكيماوية ، فانها تمثل فقط ثلاثة في المائة مما تنتجه معامل التكرير الأمريكية .

والأنسجة الاصطناعية ليست حديثة العهد ، فقد شرع العلماء في ابتكارها وتطويرها منذ أكثر من مائة سنة . وفي أوائل القرن الحالي ، توصل علماء الكيمياء الى انتاج أنواع عديدة من الأقمشة الاصطناعية من مادتي « السليولوز » و « قار الفحم » ، وبعض المصادر الأيدروكربونية الأخرى باستثناء الزيت . ولا تزال أصناف عديدة من هذه الأقمشة الاصطناعية تصنع من هذه المصادر الكيماوية حتى يومنا هذا . والجدير بالذكر ان السنوات القليلة الماضية ، قد شهدت تطورا كبيرا في انتاج مئات المواد الكيماوية من البترول .

ان شركة ستاندرد أويل (كاليفورنيا) وهي احدى الشركات الأربع المالكة لأرامكو ، ما زالت تحتل مكان الصدارة بين الشركات المنتجة للمركبات البتروكيماوية . ففي حقل صناعة الأقمشة ، مثلا ، توصلت شركة « شفرون » للأبحاث الكيماوية ، وهي تابعة لشركة « ستاندرد أويل » (كاليفورنيا) ، الى تطوير أول طريقة من نوعها لاستخراج مادة الـ « براكسلين » من البترول ، تلك المادة التي غدت اليوم لبنة أساسية في انتاج قماش « الداكرون » الذي تصنع منه البذل الرسمية ، والقمصان ، والثياب النسائية ، والحلل ، والملبوسات ذات النسق أو النمط الواحد ، وأشرعة السفن وغير ذلك من المنتجات التي لا







حصر لها . هذا وتدخل أحيانا في صناعة هذه المنتوجات ، الى جانب الداكرون ، خامات طبيعية أخرى كالقطن والحرير وغيرهما .

واستطاعت هذه الشركة أيضا تطوير أنسجة اصطناعية من مادة « البوليبروبيلين » البتروكيماوية تعرف باسم أنسجة « البوليليوم » . وهذه تستخدم في صنع أنواع معينة من السجاد يصلح استعمالها في داخل البيوت وخارجها . ويمتاز هذا النوع من السجاد بعدم قابليته للبلى ، وعدم تأثره بالتقلبات الجوية ، بالاضافة الى احتفاظه بلونه ورونقه اثر عمليات الغسل والتنظيف المتكررة . وقد حظيت مادة « البوليبروبيلين » بمركز مرموق كمصدر لصنع اللدائن الخفيفة والمتينة المتنوعة الأحجام والأشكال . وهنالك نوع من ألياف « البوليبروبيلين » يستخدم في صنع أنواع جيدة من الأثاث قابلة للتحمل ، ومقاومة للبلى والتلف .

هذا ، وثمة مادة كيماوية أخرى تصنع من البترول تستخدم كمادة خام لتغليف الأقمشة اللدنة الخاصة بصنع المعاطف الواقية من المطر وستائر الحمامات وخراطيم الماء وغيرها . وتعرف هذه المادة باسم « فثالك انهيدرايد » .

ان أكثر الأقمشة الاصطناعية شهرة اليوم هي أقمشة « النايلون » . ويصنع معظمها من مشتقات « البيوتيدين » ، وأكثرها تداولا ما يستخدم في انتاج الحرير الاصطناعي الذي تصنع منه الجوارب ، والقمصان و « البلوزات » والثياب النسائية ، والذي يدخل أيضا في صناعة السجاد ، والستائر ، وحبال ربط السفن ، والأنسجة الواقية ، وسقوف السيارات ، وخيوط الحياكة وغيرها . هذا وتستخدم أنسجة «الاورلون » و« الأكريلان» و « الفاينل » الاصطناعية في صنع الثياب والدثائر ، وأغطية مقاعد السيارات والأشرعة ، والملبوسات ذات النسق والنمط الواحد ، وتنجيد المفروشات ، والسجاد . وهذه المواد هي أيضا مشتقات بتروكيماوية .

لقد بوشر في صنع الأقمشة الاصطناعية كمحاولة لتقليد الحرير والصوف والقطن الكتان . وقد ظلت هذه الأقمشة وقتا طويلا قبل أن يكتب لها النجاح ، وتثبت وجودها كأقمشة جديدة ذات صفات وميزات خاصة . فهناك نوع منها ذو مرونة خاصة ، ونوع آخر لا يتأثر بالحرارة ، وثالث مقاوم للرطوبة .. وما الى ذلك .

بقي أن نذكر أن الأقمشة الاصطناعية ، علاوة على فوائدها المباشرة ، حررت مساحات شاسعة من الأرض الزراعية من انتاج ألياف الأنسجة الطبيعية ، وجعلت من الممكن استغلالها في زراعة المحاصيل الغذائية .

عصام العماد

عن مجلة «بولتين» بتصرف

في الأدب العربي والتركي

تأليف : الدكتور حسين مجيب المصري

عرض وتعليق : الأستاذ أحمد أبو الخضر منسي

لا يستطيع أن يؤلف مثل هذا الكتاب الا رجل يكون متبحراً باللغتين على الأقل العربية والتركية اللتين سيخوض في نصوصهما الخاصة، بموضوع بحثه، والمقارنة الرحبة التي تولاها، فاذا أنت تعلم من اثباتك لشخصه، وما عرفت مما قضى من أزمان دراسته العالية المستبحرة، ومما صنف من كتب جليلة راجحة الوزن والمقدار، قبل وبعد هذا المصنف الضخم الذي اتشح بين دفتيه بستمائة صفحة من الحجم الكبير، قلنا اذا بك تعلم ان الدكتور الفاضل معجم لغات عبل جسيم. ومن عجب أن تعلم انه، مع عربيته المبينة، يعرف سبع لغات سويات علما هو فيه راسخ القدم. فهو عالم بالتركية، والفارسية، والروسية، والفرنسية، والانجليزية، والالمانية، والايطالية !

ولا تظنن انك ستلقى من كتابه هذا، بحثا جافا، غليظ الأهاب، تدخل منه الى المامة بذور من نثر وشعر تركي، ورش من شعر فارسي، وصحبتهما اضمامة مترامية الحواشي من ذلك من الأدب الاسلامي. لا. فهو كتاب مجهز أحسن جهاز يفصح فيه لسان الجد والبحث المستفيض. فهو حقا دراسة ذات شعاب في الأدب الاسلامي المقارن، تستخزن منه معارف جمة، وعلما حوى برودا مفوفة من الابحاث نسجت أبرع نسج. انك تغوص من كتابه هذا مغاص اللؤلؤ لتقتبس جملة وفيرة من الأدب التركي والأدب الفارسي لعلاقة بينهما يطلعك عليها، شعرا ونثرا، مشروحة ومترجمة الى العربية في نصاعة وتبيان. ويولجك في أبواب وفصول منسقة، يتحفك في تضاعيفها بمختارات وشذور كالدر المنظوم من الأدب العربي الاسلامي، وكتّابه وشعرائه، يقارن بها ما أورده لك من طرائف هذا الأدب التركي والأدب الفارسي.

الكتاب ولا غرو دراسة ممتدة الأنفاس، متشعبة الأركان في الأدب الاسلامي المقارن، من منبعه في أمسه الدابر الى مصبه في يومنا الحاضر. تخوض في أقطاره فتستخرج علما مترامي الجوانب من الأدب الاسلامي، في بحبوحة الجاهلية والاسلام من دولة الأموية، والعباسية والأندلسية وغيرها، من حيث تبزغ شمسه وتغرب، على جهة التفصيل والاحاطة، لم يذر من شذور المنثور والمنظوم، ومن اسماء مئات من شعراء وكتّاب، وأطروفات عنهم وأخبار. فانت من كتاب الدكتور البحاثة، تقع في روضات دمثات تتأنق فيهن. فهو أشبه بدائرة معارف لا يشاكل جودة وشمولا في موضوعه. لا يعروك منه ملل ولا استثقال وأنت تجول في جنباته. بل لقد ظللت أديم يوم كنت فيه خليا، مسترسلا في قراءته حتى مبلغ ثلثيه، ما استرخى مني عزم، أو حلت بي ملالة. أجل، هو سفر لك فيه منافع كثر، علمية وأدبية تتوارد عليك تترى. ولك فيه كذلك تفكهة وترويح بما اشتمل عليه من نوادر، وفكاهات مستطابة.

والأبواب هذا الكتاب الذي وضع المؤلف الفاضل مراسمه ومناظمه عشرة أبحاث غزار كبار تستدعي اهتمامك وتجذب لبك هي : الترك والشعر العربي ، الغزل في الشعر العربي والتركي ، الرثاء عند العرب والترك ، الطبيعة في الشعر التركي والعربي ، ليلى والمجنون عند العرب والترك ، مولد النبي في العربيـــة والتركية ، الهجاء في الشعر العربي والتركي ، التصرف في شعر العرب والترك ، الأدب الشعبي عند العرب والترك ، الشعراء الملوك عند الترك والعرب ، قد وافاك بها ببيان مستفيض ، وشرح منبسط مفيد . كل ذلك على جهة الاحاطة والتفصيل الذي لا يدع في نفسك حاجة . والخلاصة يفوح عليك ، وأنت مستريض في جنبات هذا الكتاب ، عبق من ريح النسق النظيم المليح ، والفائدة الموفورة ، والترويح الذهني المستطاب .

أجل ان المؤلف البارع واسع الاطلاع ، مستبحر في علمه ، حظي به ، يقظ الفؤاد ، قد أنافت همته في بحوثه على كل ذي همة . ففي التاريخ مثلا مما يتعلق بموضوع كتابه ، صفحات ترد عليك بما تعلم ومـــا لا تعلم ، من خلفاء وملوك ، وسلاطين ، وأمراء أتراك وفرس ، وعرب ، لهم صلة بالشعر ينظمونه أو لهم رعاية وحدب على شعراء لاذوا برحابهم . وتتوارد منهم أسماء شعراء وأدباء وزجالين من ترك وعرب ، فتفاجأ ، بعد ذكر المبرزين الاعلام ، بأسماء ، علم وسير فهم عند خاصة الأدباء ، أمثال رمزي نظيم ، وشفيق المصري . وكذلك يفد عليك بسرد شعراء الجاهلية والاسلام ، والأندلس ، ونتف من سيرهم ومنظومهم . ويعرفك شرحا وتفصيلا ببعض المذاهب والعقائد . كل هذا متصل ومفسر بأحسن بيان ، كما يزف اليك اطروفات مما يدخل في نظم الشعر من نحو النقائض ، والمنافرة بين الشعراء شارحا لك ما غمض وأشكل مما أورده .

والدكتور حسين مجيب محقق محلل ثاقب البصيرة يحز ويصيب المفصل ، فمثلا اذا أورد لك نظما من رثاء الشاعر التركي كمال زاده ، مع ذكر المتنبي معه في رثائه بأبيات لأبي شجاع ، يعلق في صفحة ٩٢ بقوله : « ولا شك ان أبا الطيب كان أجمل بيانا ، وأرق شاعرية من كمال باشا زاده الذي يبدو في رثائه معبرا عن الحزن العام على موت السلطان سليم ، لا عن حزنه الشخصي على عظيم يجل عظمته ، والجمال الفني والشعور الانساني يعوزان القصيدة التركية في معظم مواضعها » . ومثل ذلك نجد تحليلا بارعا ، ونقدا بصيرا في عديد صفحات الكتاب ، لمن يتتبعه ، وعلى وجهة التوسع والبيان الدقيق ، حتى نجد سهم احتجاجه أفلج ، وملحوظات بيان أمتن وأرسخ . والى هذه المزايا المؤازرة لحقيقة تحليله ونقده نكتفي بموجز الاشارة بها الى عديد منها ، تتجلى لقراء كتابه هـذا وهم يتلونه .

وللمصنف الكبير أسلوب بارع وانشاء متين ناصع ، وديباجة محبرة موثقة . يقول مثلا فـــي صفحة ٤٢ « والى جانب لون آخر من الحب ، هو الحب الماجن الذي تفيض بـه رغبة جامحة في التهالك على مفاتن الدنيا ، وهي تلوح في الوجوه الصباح ، والثغور الملاح . أما صاحب هذا الهوى فموكل بالحسن يتبعه وهو يسلـــو اليوم ليصبو غدا » .

ويقول في صفحة ٤٣٦ : « وتتداعـــى أفكاره فيقول ان الأيام دول ، والدهر ذو غير . ويدخل من ذلك على وصف الزمان وصروف الحدثان ، كما يدلي برأي ، ويعبر عن مذهب . فعنده ان الزمان لا ينصف أهله لأنه يجزل العطاء على النّقص ، ويبخل كل البخل على الكمّل . »

ويعتمد الدكتور مجيب في ترجمة مقتطفات شذور شعراء الترك أو الفرس الى العربية ، بأن يوشحها بحلة زاهية من السجع البارع ، لتكون أشبه بالشعر الذي يترجمه ، وهو سجع لطيف تهش لـه المسامع ، ولنضرب لك مثلا على هذه السجعات الظريفة في قوله وهو يترجم شعر الشاعر فضولي التركي : « أما فضولي فقال : وقابل المجنون وجهه بوجه الظبي وهو ينوح ، ومسح عينه بعينه ولدمعه سفوح ، وقال أن زينة كل أرض تنبت الزهور ، ولك ما للزهر من نضور ، يا عشبا لغدير الوحشة ، ويا سما أنيقا لربيع الرحمة . »

وهذا الذي أوردناه من أسلوبه وسجعانه ، يلقاك كلما تماديت في استقراء صفحاته ، مع نفوذ في اختيار اللفظ الناصع ، والقدرة على اجتلاب العبارة المفصحة ، التي تقع قالبا للمعنى بحكم الانطباق .

وقد عثرنا عفوا على بعض أخطاء أفلتت من المؤلف الجليل ، وهي قلة لا تذم في كتاب ضخم كبير . من ذلك :

ما ورد في صفحة ١٧٥ في قوله : (وفي كلامها رقة الأنوثة وانزوائها) فـ (انزوائها) واقعة مبتدأ ثان معطوف ، فمحلها الرفع ، والهمزة اذا من (انزوائها) مضمومة فتكتب على واو ، لا على يـاء هكذا : (انزواؤها) .

وفي صفحة ١٧٩ جاء قوله: (يا له من منحوس متعوس) وليس في اللغة هذا الحرف . فلا يقال الا تاعس وتعس . الا اذا أجزنا هذا الخطأ اللغوي على انه داخل في باب الاتباع المعروف في الكلام مثل قولك حسن بسن .

وفي صفحة ٤٣٢ : (قد علمته التجارب ان نوال المعالي منوط بسهر الليالي) والصحيح ان (نوال) تستعمل للمعطي والواهب ، والنيل للمعطى اليه ، وهو ههنا في الجملة معطى لـه من التجارب . فالصحيح أن يقال « نيل المعالي » لا نوالها .

وكنا نود ، والدكتور الفاضل متصف بالدقة ، ووضوح البيان في ما يورد ، انه لو اعتمد تشكيل بعض الألفاظ التي قد تغمض على بعض قراء كتابه النفيس ليكمل زخرفة ويتوفر بالوضوح جماله .

والسيد المصنف قد أحدث من قبل عـــدة مصنفات قيمة جليلة ، كما نعلم انه ، مع علمه وأدبه ، شاعر بارع النظم ، فائض الشعور . فله من مصنفاته : كتاب فارسيات تركيات ، وكتاب في أدب الفرس والترك ، وكتاب تاريخ الأدب التركي ، وديوان شعر (شمعة وفراشة) ، وديوان (وردة وبلبل) . ولا يزال يخرج لنا ما تحت الطبع منها من جليل نفعه جزيل .

وقد جمل وكمل مؤلفه هذا بفهارس أبجدية مستفيضة . كفهرس الأعلام الواردة في كتابه ، وفهرس الأماكن ، وفهرس مصادر بحثه ومراجعه العديدة ، بين مخطوطات ومطبوعات في العربية ، والتركية ، والفارسية ، والروسية ، والايطالية ، والألمانية ، والانجليزية ، والفرنسية .

ذلك هـــو كتاب العلامة الدكتور حسين مجيب ، فهو من علمائنا المبرزين ، وكتابه هذا ينزل من ذخائر كتب علومنا وآدابنا بمنزلة الصف الأول ، والصدر من المرتبة السامقة .

حفلة وداع

بقلم الاستاذ خليل ابراهيم الفزيع

— ليس أمامك أن تختار .. ما أريده منك هو الموافقة ، والا فستندم بعد فوات الأوان .

قال : ان ذلك يشرفني ، ولكنني أحتاج الى وقت كاف قبل أن أبت في مثل هذا الأمر .

ولكن رئيسه استشاط غضبا وقال : لم أعد مقتنعا بما تقول ، عليك أن تفكر بجدية أكثر .

حاول محمد أن ينهي الحديث ، فتناول الاضبارة التي وقع رئيسه على آخر ورقة فيها ، وهم بالاستئذان للانصراف . وعندما وصل باب الغرفة وهم بالخروج ، التفت الى رئيسه فوجده ، كأنه كان يتوقع التفاتة محمد ، فكرر على مسامعه : عليك أن تفكر بجدية أكثر .

فأومأ محمد برأسه إيذانا بالموافقة ، ثم خرج بعد أن تفوه بكلمة : حاضر .

جلس محمد على مكتبه ، فأخرج من أحد أدراجه كتابا دفن فيه مشاعره ، لكنه في الواقع لم يكن يقرأ .. بل كان يستلهم السطور حلا للمأزق الذي وقع فيه . فكانت الكلمات تزحف من أماكنها فوق صفحة الكتاب أمام ناظريه ، لتكوّن في النهاية شكلا هلاميا يمتزج سواده ببياض الصفحة . وفي أعلى الصفحة قرأ دون تركيز كلمات : الشجاعة .. العاجزين.. العمل ، وعندما انتبه اليها اذا هي (الشجاعة وهم ينتاب العاجزين عن العمل) .. كلمات لا معنى لها ولا تثير اهتمامه . وهنا سرح محمد في تفكير عميق .

أمر غريب .. لماذا يصر هذا الرئيس على موقفه بسبب معرفة قديمة بوالده ؟ هل يريد فعلا مساعدته ليشق طريقه في الحياة ، ويحقق انتصارات جديدة ؟ ان مواقفه السابقة تثبت اهتمامه به ، ولكن الأمر يختلف .. انه يريد أن يزوجه من ابنته ، وهو لا يعرف شيئا عنها ، ثم انه لا يريد أن يتزوج حاليا سواء منها أو من غيرها .

ان ترك العمل ليس في صالح محمد ، وقد خيره رئيسه بين الزواج من ابنته أو ترك العمل . وهذا اصرار مضحك لا يفكر فيه أحد . ولكن رئيسه كما يبدو مصر على هذا الموقف . فهل يتزوج محمد من ابنته وينهي الأشكال ؟ انه لا يريد الزواج في هذه السن المبكرة ، فالمستقبل أمامه كبير ، والزواج سيقيده ويحد من انطلاقته نحو المستقبل الباسم .

وتحجرت نظرات محمد مرة أخرى على العبارة القائلة (الشجاعة وهم ينتاب العاجزين عن العمل) كيف ذلك ؟

ليته يملك الشجاعة ليواجه رئيسه بالحقيقة فيجهر له بالقول : لا أريد أن أتزوج من ابنتك . وقد يرد عليه رئيسه فيسأله :

لماذا ؟

فيجيبه محمد : لأنك تملي عليّ رغباتك . قد أود الزواج ، ولكن ليس من ابنتك بالذات . وينتهي كل شيء .

يترك العمل ولا يسمح لرئيسه بإرغامه على الزواج من ابنته ، التي قد تكون قبيحة أو بها علة لا يرجى برؤها .

ليته يملك الشجاعة !!

وأغلق أحد زملائه درج المكتب بقوة جعلته يعود مرغما الى واقعه .

كانت غرفة المكتب خالية من المراجعين ، وقام زميل من مكانه ، وجلس بالقرب من محمد محاولا أن يلفت نظره ، فاضطر الى ترك الكتاب والالتفات الى زميله ، الذي قال هامسا :

— انها مشكلة عويصة .

— أية مشكلة ؟

— مشكلتك مع الرئيس .

— لا مشكلات بيننا .

— لا داعي للانكار .. الكل يعرف انه يريد تزويجك من ابنته . وأنت ترفض .

ولم يفاجأ محمد بمعرفتهم السر . فقد كان يلاحظ همسهم ، ويسمع تلميحهم ، ولكنه يتغاضى عن ذلك .

— وما هو رأيك ؟

— لو كنت مكانك لما تأخرت عن تنفيذ طلبه .

قال زميله ذلك بعد أن تنهد بحسرة مفتعلة .

فقال محمد : لا أطلب منك أن تكون مكاني.. كل ما أريده منك هو الرأي .

— ولماذا لا تبين له موقفك دون مواربة إن كنت لا تريد ؟!

فأجابه محمد قائلا : المسألة في غاية البساطة ، فقد تحتاج الى شجاعة .

مرة أخرى الشجاعة !

وهمّ زميله بالقيام ، في الوقت الذي فتح فيه باب الغرفة نصف فتحة ، وأطل منها أحد الموظفين برأسه ، وقال وهو لا يزال ممسكا بالباب : « اسمعوا يا جماعة .. هناك سر خطير » . وساد الصمت فترة ، حتى وضع له محمد حدا ، عندما سأله : « ما الخبر ؟ »

كان الجميع لا يزالون ينظرون الى الرأس المطل عليهم من الباب ، وكأنهم يطلبون منه اجابة تشفي الغليل ، ولكنه تمهل قبل أن يقول : « الرئيس سينقل الى ادارة أخرى » .. واختفى .

كان شعور كل واحد منهم عند سماع هذا الخبر يختلف باختلاف معاملة الرئيس له . وان طرأ على اذهان الجميع خاطر بأن هذا الموظف ربما يريد المزاح معهم ، وان الخبر لا أساس له من الصحة . فاهتموا جميعا بالكشف عن حقيقة هذا الأمر ، كل بطريقته الخاصة .

وتمضي الأيام لتؤكد صحته ، ويكف الرئيس عن ذكر موضوع الزواج أمام محمد ، الا أن شعورا بالذنب كان ينتاب محمدا أحيانا ، لاعتقاده أن رئيسه غاضب عليه بسبب موقفه . وبدأ يفكر من جديد في ذلك الموقف ، رغم اقتناعه في قرارة نفسه بأن الزواج مستحيل بالنسبة له ، وخاصة من ابنة رئيسه . وزاد شعوره بالذنب كلما لاحظ معاملة رئيسه له بجدية لم يعهدها فيه من قبل . ولا يخاطبه الا بشكل رسمي .

وعندما اقترح أحد زملائه اقامة حفلة وداع بمناسبة قرب موعد انتقال سيادة الرئيس ، كان محمد أول المشجعين للفكرة ، فتبنى مهمة اقناع الجميع بالمساهمة في اقامة هذه الحفلة .

وبعد أن تم الحفل بنجاح ، أحس محمد بالارتياح ، لأنه استطاع أن يؤدي بعض ما عليه ازاء رئيسه . وتأكد محمد من طيبة قلب رئيسه عندما أصر على أن يرد لهم الجميل حينما دعاهم لزيارته في كلمة أعرب فيها عن شكره الجزيل على ما لمسه فيهم من الحفاوة والتكريم . ولم يكن أمام الجميع أي عذر للتردد في تلبية دعوته ، فاتفقوا على أن يكون ذلك قبل موعد سفره بيوم واحد .

وفي اليوم المحدد وصل محمد الى منزل الرئيس واندمج هو وزملاؤه في أحاديث شتى مع رئيسهم ، يصغون اليه اذا تكلم . ويتكلمون اذا سكت . وفي لحظة صفاء روحي خيم على الكل ، حدث ما لم يكن في الحسبان ..

من أمام باب غرفة الاستقبال مرت فتاة هيفاء جميلة ، وفي لحظة اختفت كما يختفي الطيف . ولكن تلك اللحظة كانت كفيلة بأن تطبع صورتها في ذهن محمد، وأحس والدها بما يعتمل في صدره .

وذهل محمد ، وتساءل في نفسه لِمَ لم يحاول رؤيتها ؟ كيف يرفض مثل هذه الفتاة التي لا شك ستسعده ؟ ماذا يعمل الآن لكي يصلح خطأه ؟ هل يقبل والدها أن يعتذر له عن موقفه السابق وهو الذي لم يعد يكلمه في هذا الأمر ؟ كان ذلك التساؤل يجول في خاطره ولكن دون استقرار . وأحس الكل باللوعة تسيطر على محمد . وعندماانتهى الجميع من توديع رئيسهم .. تباطأ محمد في خطواته حتى اذا لم يبق في غرفة الاستقبال غيرهما ، قال بعد أن تلكأ قليلا :

أنا آسف لموقفي من رغبتك السابقة .

أي رغبة ؟

الزواج من كريمتكم ..

لا داعي للأسف يا بني ، لقد اعتبرت الأمر منتهيا منذ تقرر نقلي .

هل يعني هذا انه ليس من حقي طلب يدها .

لقد تأخرت يا بني .. كنت أنوي اسعادك لتبقى ذكريات والدك الجميلة ماثلة أمامي ، ولكنك أردت غير ذلك .

كانت كلماته مشحونة بكل معاني الصدق ..

وبرقت في ذهن محمد فكرة ، فسارع الى القول :

سوف أترك العمل هنا ، والتحق بأي عمل هناك ، ان كنت توافق على ذلك .

— الأمر لم يعد بيدي . لقد وعدت أن أزوجها لابن أحد أصدقائي هناك وهي تعرفه وهو يعرفها ، وحالما ننتقل سيتم زواجهما .

ولكن ..

فقاطعه .. كأنما ليضع حدا لهذا الحديث :

لا مجال للتفكير في هذا الموضوع يا بني ، لقد عرضت عليك الأمر باصرار تمجيدا لذكرى الصداقة العطرة التي جمعتني بوالدك ، ولكنك رفضت ، وحسنا فعلت ، فلا يمكن أن أتصور الحياة بعيدا عنها . لقد أصبحت كل شيء في حياتي بعد رحيل والدتها رحمها الله . ليس أمامك الا أن تنس الأمر .

وغادر محمد بيت رئيسه المنقول يجر أذيال الخيبة ، وفي نفسه الأسف والحزن والاكتئاب .. ومضى يسير على غير هدى في حلكة الليل يعروه الوجوم .



الحركة الأدبية في العالم العربي







• من الكتب الدينية التي خرجت أخيرا هذه الطائفة : الجزء الأول من « موسوعة الفقه الاسلامي » التي يشرف عليها الشيخ محمد أبو زهرة ، و « عظمة الاسلام » للأستاذ محمد عطية الابراشي وهو يتمم كتابه « عظمة الرسول » ، و « أحكام الأسرة في الاسلام » للدكتور محمد سلام مدكور ، و « الرسالات الكبرى » للسيدة سنية قراعة . كما حقق الدكتور أحمد عبد الحميد غراب كتاب « الاعلام بمناقب الاسلام » لأبي الحسن العامري .

• ومن كتب التحقيق الجديدة « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » لابن مكي الصقلي ، وقد حققه بشروح وتعليقات مستفيضة الدكتور عبد العزيز مطر ، وقدم له العلامة الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، و « ديوان عدي بن زيد العبادي » وقد حققه الأستاذ محمد عبد الجبار المعيبد .

• صدر كتاب « الأطلس العربي » في حجم كبير وطباعة ملونة ، وهو من وضع واخراج الدكتور فدريكود وأجوستيني ، وقد راجعه الدكتوران محمد محمود الصياد وابراهيم شوكت .

• « الافصاح في فقه اللغة » كتاب ضخم في جزئين ألفه الاستاذان عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى وجعلاه مرجعا معجميا للاشتقاقات وتصريف الأفعال وآداب اللغة العربية .

• ومن كتب الأدب الجديدة التي صدرت مؤخرا « موجز علم البيان » للأستاذ نجيب مكربنة و « الأدب العربي المعاصر في الأردن » وهو بحث باللغة الانجليزية أصدرته جامعة مالطة للأديب الأردني الأستاذ عيسى الناعوري ، وبحث للأستاذ عبد الحميد ابراهيم محمد عنوانه « من قصص العرب » . كما فرغ الأستاذ نقولا يوسف من اعداد كتاب عن الأدب الهندي .

• من الكتب التي تتناول الصحافة والموضوعات المتفرعة عنها طبعة جديدة أخرجها الدكتور خليل صابات من كتابه « الصحافة — رسالة واستعداد وفن وعلم » وكتاب « الأسلوب الاعلامي والعلاقات العامة » للأستاذ محمد عطا . كما ظهرت طبعة ثانية من كتاب « العلاقات العامة فن » وهو مترجم عن ادوارد بيرنيز وزملائه .

• أصدر الدكتور أحمد سويلم العمري كتابا في موضوع « حقوق الانتاج الذهني » تناول فيه القوانين المنظمة لحقوق المؤلفين والمصنفين والمخترعين وأصحاب البراءات والقواعد الدولية المنظمة لها .

• صدرت الطبعة الرابعة عشرة من « القاموس العصري — انجليزي ، عربي » لواضعيه المرحوم الأستاذ الياس أنطون الياس ونجله الأستاذ ادوار الياس ، وفيها اضافات في المصطلحات والألفاظ تربو على ثلاثة آلاف لفظة .

• يتأهب مجمع اللغة العربية لاصدار طبعة ثانية منقحة من « المعجم الوسيط » بجزأيه في ضوء الملاحظات التي أبداها النقاد على الطبعة الأولى التي جمع فرائدها الأساتذة ابراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار ، بإشراف الأستاذ عبد السلام هارون .

• في التراجم والسير صدرت أربعة كتب هي « الكندي » للأستاذ مجدي العقيلي ، و « ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر » للسيدة سنية قراعة و « أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي » للأستاذ محمد بن الشريف و « مؤرخ المغول الكبير » للدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد . وفي الوقت عينه أعد الدكتور زكي المحاسني دراسة عن المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام على غرار ترجمته السابقة للمرحوم الدكتور أحمد أمين . كما استكمل الأستاذ أنور الجندي كتابه « الأعلام الألف » وقد روى فيه سيرة ألف من المشتغلين بالفكر من قدامى ومحدثين في الشرق والغرب .

• يطبع الأستاذ محمود الشرقاوي كتابا جديدا عنوانه « أعاصير ونسمات » وفيه بواكير شبابه شعر ونثر وقصة .

• من كتب علم النفس والتربية التي ظهرت مؤخرا هذه الطائفة : « علم النفس الاداري » لهارولد ليافيت ، وترجمة الدكتور كمال دسوقي ، و « التربية والمناهج » للأستاذ فرنسيس عبد النور ، و « حركة الطفل » للأستاذ فريد حسن . وتحت الطبع كتاب « التعليم ونظرياته » للدكتور فاخر عقل .

• من الكتب التي تبحث في العلوم المختلفة ظهرت هذه المجموعة « علم الأدوية في مداواة الفم والأسنان » للدكتور أكرم المهايني ، و « الانسان بين الميكروبات والنباتات » للدكتور حسين العروسي ، و « تطبيقات اصلاح الأراضي » للدكتور صلاح أحمد طاحون ، و « تربية الخضر » للدكتور زيدان السيد عبد العال . ويصدر للدكتور رؤوف سلامة موسى كتاب علمي جديد عن « حيرة العلماء العرب » .

• خواطر من الحياة اليومية سجلها كاتبان هما الأستاذ محمد زكي عبد القادر في كتابه « أقدام على الطريق » والأستاذ حلمي سلام في كتابه « يوميات كاتب » .

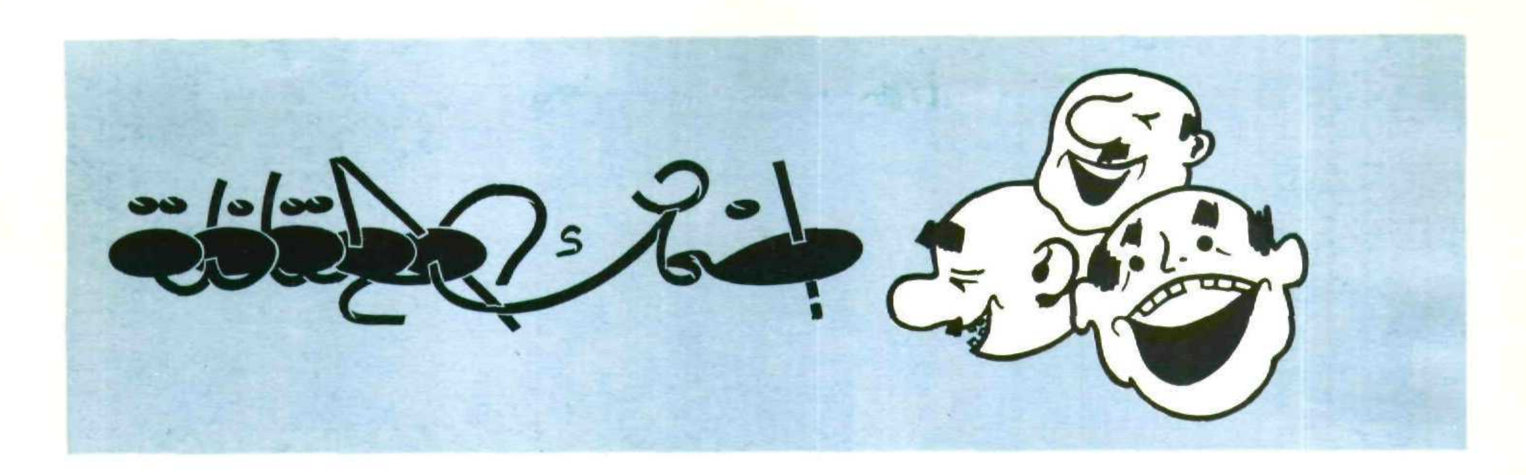
• في الفنون والألعاب ظهر هذان الكتابان « المفهوم المعاصر للتربية الفنية » ، و « في مجال التربية الفنية » وهما للدكتور لطفي محمد زكي .

• صدر للدكتورة بنت الشاطىء مؤخرا كتاب جديد بعنوان « على الجسر » تسجل فيه خواطرها وانفعالاتها تجاه زوجها الراحل العلامة الشيخ أمين الخولي .

• ترجم الأستاذ أحمد ابراهيم عيسى كتاب « النظريات السكانية وتفسيرها الاقتصادي » من تأليف سدني كونتر . وانتهى الاستاذ عبد العزيز جادو من تأليف كتاب عنوانه « الانسان وطاقته النفسية » .

اهداء

أهدانا الشاعر السعودي الكبير الأستاذ حسن عبد الله القرشي مجموعته الشعرية الثامنة « بحيرة العطش » ، وهي تقع في ١١٠ صفحات وتضم ٣٠ قصيدة مع مقدمة قصيرة حول الشعر ومكانته في العصر الحديث . وقصائد المجموعة من آنق ما كتبه الشاعر وهي تفيض رقة وعذوبة .
نتمنى للشاعر اطراد التوفيق والنجاح .



منطق

قالت الأرملة للمصور : هل تستطيع أن تكبّر صورة زوجي هذه على أن تظهر بدون قبعة .

فقال المصوّر :

هذا ممكن يا سيدتي. ولكن هل كان المرحوم يفرق شعره الى اليمين أم الى اليسار ؟

الأرملة : لقد نسيت . ولكن يمكنك معرفة هذا بعد أن ترفع القبعة عن رأسه .

تسلية

استطاع أحد بحارة السفينة الغارقة أن يصل الى جزيرة نائية. حيث قابل بحارا كان قد نجا من سفينة غرقت قبل سنوات عديدة . فسأله :

— هل عشت طوال هذه المدة وحيدا في الجزيرة ؟!

— نعم .

— وبماذا كنت تتسلى ؟

— أروي لنفسي بعض الفكاهات .

— يبدو هذا مسليا .

— بالعكس . . فكثيرا ما أقاطع نفسي لأقول « هذه نكتة قديمة قد سمعتها من قبل » .



سبب وجيه

زار المعلم وتلاميذه حديقة الحيوانات . فلاحظوا أن أحد الطيور كان يقف في الماء على رجل واحدة . فسأل المعلم :

هل تعرفوا لماذا يقف هذا الطائر على رجل واحدة ؟ فأجاب أحد التلاميذ :

لأنه لو رفع الثانية وقع .



المؤهل الأول

قدم رجل طلبا للعمل كمروض للحيوانات المفترسة في احدى فرق السيرك . فقال له مدير الفرقة : يبدو انك صغير الحجم . ولا تصلح لمثل هذا العمل . فقال الرجل :

بالعكس يا سيدي . فكوني صغير الحجم هو مؤهلي الأول لمثل هذا العمل، لأن الحيوانات تظل تنتظرني الى أن أكبر .

مشكلة السنّ

كانت سيدة تملأ طلبا للعمل ، وعندما وصلت الى السطر المكتوب عليه « السن » ترددت طويلا . ولاحظ مدير التوظيف ترددها في ملء هذا السطر فاقترب منها . وقال : « سيدتي كلّما مرّ الوقت تعقدت المشكلة أكثر فأكثر . »

رسالة

أرسلت طائرة الرسالة التالية الى برج المراقبة في المطار :

من ط س — ٣ الى برج المراقبة . ليس لدينا سوى خمسة جالونات من الوقود . ننتظر تعليماتكم فأجاب برج المراقبة :

الى ط س — ٣ . لا تنزعج . حافظ على هدوئك . طمّن الركاب والملاحين . وأخبرنا أي العلامات الأرضية ترى .

وبعد صمت ثوان كانت كأنها ساعات جاء الجواب :

الطائرة واقفة على مدرج المطار . ولكننا لا نرى السيارة التي تحمل الوقود .

الشعر الطويل والأطفال

عرف عن شاب اطالة شعر رأسه على طريقة « الخنافس » . الا انه ظهر أخيرا وقد قص شعره . مبررا بأن شعره الطويل أثر على طفله البالغ من العمر ثلاث سنوات . فسأله أحد أصدقائه : وكيف أثر شعرك على الطفل ؟

الشاب : جعله يصر على مناداتي « ماما » ..

إمّا ... وإمّا

التقى رجلان في حافلة فقال أحدهما :

من الصعب أن يكون الرجل حسن الهندام في هذه الأيام . فان وجدت قميصا نظيفا — وقلما أجده — اكتشف أنّ أحد الأزرار مقطوع . وأنا حائر لا أدري ما أفعل ؟

الآخر : — المسألة بسيطة .. اما أن تتزوج أو أن تتطلق .



الطائرات العامودية تسهم بدور فعال في أعمال المسح التي تجريها ارامكو في الربع الخالي، وهي جزء من أعمال التنقيب عن الزيت.

تصوير [illegible]